
أوهام الملحدين
أوهى من بيت العنكبوت



جمع وترتيب

شحاتة صقر

دار الخلفاء الراشدين

دار الفتح الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع:

تم الصف في
مكتب البصيرة
للتحقيق العلمي والتجهيز الطباعي

ت/٠١١٢٤٥٨٩٦٤٦ ت/٠١٠٠٧٦٥٣٦٤٥

دار الخلفاء الراشدين

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية ـ ٣ ش عمر ـ أبو سليمان الإسكندرية ـ مصطفي كامل

أمام مسجد الخلفاء الراشدين بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦/ ٠١٠٠٥٠١٣١٥١

٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨/٠١٠٠٢٧٧١٠٦٠

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ (إبراهيم: ١٠).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة: ٢١٧).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾(الحج: ٤٦).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤١).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٦).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (فاطر: ٣٩).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (لقمان: ٢٣).

* قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٦-١٧٨).

* قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٢- ٣٣).

* قَالَ تعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ (الرعد: ١٦).

* قَالَ تعَالَىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

منطق الملحدين

مَنطِــقُ المُلحِــــدِينْ مَنطِــقٌ مُبْتَــكَرْ

مِن عُـواءِ الكلابْ [1] أو قُرُونِ البقَــرْ

فاسْخَرِي يَا عُقُـــولْ واهْزَؤُوا يا بَشَرْ

لولا واجب حماية المسلمين من تضليلات المضلين، حتى السخفاء والتافهين، لما كانت أفكار الملحدين تستحق النظر فيها، ولا الالتفات إليها.

إن اليهود الذين وضعوا أو دعموا ما أسموه بالنظريات المناقضة للدين، وزعموا أنها حقائق علمية زورًا وبهتانًا، وأدخلوها ضمن حشود التقدم العلمي المعاصر، أرادوا أن يخدعوا بها أجيال المثقفين ليُخرِجوهم من صفوف أمتهم ويستخدموهم جنودًا يدمرون بهم كل المواريث الإنسانية والتعاليم الربانية.

ألا فليعلم هذه الحقيقة شباب مضلَّلُون سائرون في طريق الإلحاد، أو واصلون إلى غايته، أو متطلعون إلى السير فيه.

(١) عوَى الكلبُ: لوى أنفه ثم صاح صياحًا ممدودًا ليس بنُباح.

فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

فى مدرسة ابتدائية، قال المعلم لتلاميذ السنة السادسة الابتدائية: «أترونني؟ ». قالوا: « نعم »، قال: « فإذن أنا موجود »، ثم قال: « أترون اللوح؟ ». قالوا: « نعم »، قال: « فاللوح إذن موجود »، ثم قال: « أترون الله؟ »، قالوا: « لا »، قال: « فالله إذن غير موجود ». فوقف أحد الطلاب الأذكياء؛ وقال: « أتروْن عقل الأستاذ؟ »، قالوا: « لا ». قال: « فعقل الأستاذ إذن غير موجود!! ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

كَلِمَاتٌ لَيسَتْ عَابِرَةً

❋ **قال الشيخ جاد الحق على جاد الحق** رحمه الله:

« أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ بِفِقْهِ الإسْلَامْ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ المُرْتَدِّ إذَا أَصَرَّ عَلَى رِدَّتِهِ عَنِ الإسْلَامِ؛ لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ: « **مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ** ».

وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ كَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُرْتَدَّ عَنْ الْإِسْلَامِ إِنْ تَزَوَّجَ لَمْ يَصِحّ تَزَوُّجُهُ وَيَقَعُ عَقْدُهُ بَاطِلًا سَوَاءً عَقَدَ عَلَى مُسْلِمَةٍ أَوْ غَيْرِ مُسْلِمَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَرُّ شَرْعًا عَلَى الزَّوَاجِ، وَلِأَنَّ دَمَهُ مُهْدَرٌ شَرْعًا إِذَا لَمْ يَتُبْ وَيَعُدْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَتَبَرَّأْ مِنَ الدِّينِ الّذِى ارْتَدَّ إِلَيْهِ » [1].

إنني أدري وأدري بيقـــينْ ... أنني سُوِّيـــــتُ من ماءٍ وطينْ

مُضغـــةٌ من نطفةٍ ماءٍ مهينْ ... خُلِّقَتْ في الرَّحْمِ في كِـنٍّ مَكينْ

نبأُ الحــــــقِّ وقرآنٌ مُبينْ ... عن رسولٍ صـادقِ الوعدِ أمينْ

إنّهُ تنزيـلُ ربِّ العـــــالمينْ ... حِكمةٌ بالغةٌ، لوْ كنتَ تدري؟

لستَ تدري [2]

---

(١) فتاوى دار الإفتاء المصرية، (٨/ ٢٩٩٩).

(٢) قصيدة (إنني أدري في نقض لست أدري). للشاعر المسلم فتحي محمد سليم على قصيدة (الطلاسم)، لإيليا أبي ماضي.

مُقَدِّمَة

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: ١). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾. (الأحزاب: ٧٠ -٧١).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْـهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

لولا واجب حماية المسلمين من تضليلات المضلين، حتى السخفاء والتافهين، لما كانت أفكار الملحدين تستحق النظر فيها، ولا الالتفات إليها.

فقد تصدّى لمحاربة الإسلام متصدّون كثيرون بوسائل مختلفة، فتحطّموا وتكسّرت على حقيقته الثابتة المتينة نظرياتهم وجدلياتهم وأقوالهم المزخرفة، وتكشفت بنوره تزييفاتهم وأكاذيبهم وأباطيلهم وظل الإسلام بحقه ونوره يتحدى كل مخالف له، ويصرع كل مصارع، ويطحن كل محارب. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢- ٣٣).

وقد يرى البعض أنه من غير المستحسن إثارة معارك جدلية مع الملحدين من أعداء الإسلام، حتى لا تعطيهم هذه المعارك فرصة لنشر آرائهم بين أبناء المسلمين،

وحتى لا تكسبهم هذه المعارك دعاية يستغلونها لنشر أسمائهم، وترديد أفكارهم وآرائهم الباطلة، وبإهمالهم يتساقطون تساقطًا ذاتيًا أمام سلطان الحق الذي يملأ الوجود، وينساهم الزمان كما نسي أسلافَهم، وتطويهم الحقائق طي وفاة الهالكين.

ولكن بعض أهل الغيرة على الإسلام، يريدون كشف زيف الملاحدة الذين تصدوا لمحاربة الإسلام في جذوره الكبرى، بمكتوباتهم ومنشوراتهم التي حاولوا أن يضعوا لها هالة البحث العلمي، والنقد الحر الجريء، وبرروا ذلك بأنه قد أصبح واجبًا إسلاميًا متحتمًا، باعتبار أن طائفة من طلائع فتياننا وفتياتنا قد أثرت في نفوسهم وأفكارهم بعض أباطيل هؤلاء الملاحدة وسفسطاتهم ومغالطاتهم.

إن الحق الذي ينكره الملحد اليوم لن يستطيع أن يُنكره غدًا يوم الدين، ولن يستطيع أن يجحده إذا أراد الله أن ينزل به شيئًا من معجَّل عقابه، وعندئذٍ لن تستطيع الشيوعية العالمية، ولا اليهودية العالمية، ولن يستطيع ملاحدة الدنيا أن ينقذوه من عذاب الله ﷻ.

إن عذاب الله لشديد، ولئن استهان به الملحد وهو مغرور متمتع بصحته وقوته، فلن يستهين به يوم يمَسُّه شيء منه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ٦- ١٤).

لن يضر الحق شيئًا أن يجحده جاحدوه، أو ينكره منكروه، فالله حق وبيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير. ولكن إنكار الحق تبارك وتعالى يضر المنكر وحده، وجحوده تبارك وتعالى يضر الجاحد وحده، فهو بجحوده وإنكاره واستكباره يخسر نفسه وسعادته، ويقذف بهما إلى العذاب الأليم.

أيها الملحدون:

اسمعوا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٦-١٧٨).

اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنَا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

شحاتة محمد صقر

sakrmhma@yahoo. com

مع آيات الله ﷻ

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٦).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (فاطر: ٣٩).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (لقمان: ٢٣).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٦-١٧٨).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ١٨).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢- ٣٣).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦).

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام: ١١).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (ق: ٦ – ١٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ (الرعد: ١٦).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (العنكبوت: ١٩- ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (النمل: ٥٩- ٦٤).

الإلحــاد

التَّعْرِيفُ:

الإِلْحَادُ فِي اللُّغَةِ، وَاللَّحْدُ: المَيْل وَالْعُدُول عَنِ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ: لَحْدُ الْقَبْرِ وَإِلْحَادُهُ أَيْ جَعْل الشَّقِّ فِي جَانِبِهِ لاَ فِي وَسَطِهِ. وَأَلْحَدْتُ المَيِّتَ، وَلَحَدْتُهُ: جَعَلْتُهُ فِي اللَّحْدِ، أَوْ عَمِلْتُ لَهُ لَحْدًا.

وَيُسْتَعْمَل الإِلْحَادُ فِي الاِصْطِلاَحِ بِمَعَانٍ مِنْهَا: الإِلْحَادُ فِي الدِّينِ، وَهُوَ: الطَّعْنُ فِيهِ أَوِ الْخُرُوجُ عَنْهُ.

والإلحاد: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى فيدّعي الملحدون بأن الكون وُجِدَ بلا خالق. وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

واعتبار الكون أو مادّته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمّتها عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة.

ومما لا شك فيه أن كثيرًا من دول العالم تعاني من نزعة إلحادية جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة.

الأفكار والمعتقدات:

١- إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارئ، المصور، تعالى الله عمّا يقولون علوًا كبيرًا.

٢- إن الكون والإنسان والحيوان والنبات وُجِد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت.

٣- إن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

٤-النظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم.

٥- إنكار معجزات الأنبياء؛ لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون.

ومن العجب أن الملحدين الماديين يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول بها الداروينية ولا سند لها إلا الهوس والخيال.

٦- عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.

٧-ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئًا.

٨- المعرفة الدينية، في رأي الملاحدة، تختلف اختلافًا جذريًّا وكليًّا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي!!

٩- الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.

١٠-الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

١١- نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ ونظرية فرويد في علم النفس ونظرية دارون في أصل الأنواع ونظرية دوركهايم في علم الاجتماع من أهم أسس الإلحاد في العالم. وجميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية ولا صلة لها بالعلم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

نشأ الإلحاد الحديث مع العقلانية والشيوعية والوجودية.

وقد نشر اليهود الإلحاد في الأرض، مستغلين حماقات الكنيسة ومحاربتها للعلم، فجاءوا بثورة العلم ضد الكنيسة، وبالثورة الفرنسية والداروينية والفرويدية، وبهذه الدعوات الهدامة للدين والأخلاق تَفَشَّى الإلحاد في الغرب، والهدف الشرير لليهودية العالمية هو إزالة كل دين على الأرض ليبقى اليهود وحدهم أصحاب الدين!!

الانتشار وأماكن النفوذ:

انتشر الإلحاد أولًا في أوروبا، وانتقل بعد ذلك إلى أمريكا وبقاع من العالم.

وعندما حكمت الشيوعية في ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي قبل انهياره وتفككه، فرضت الإلحاد فرضًا على شعوبه. وأنشأت له مدارس وجمعيات.

وحاولت الشيوعية نشره في شتى أنحاء العالم عن طريق أحزابها. وإن سقوط الشيوعية في الوقت الحاضر ينبئ عن قرب سقوط الإلحاد - بإذن الله تعالى.

ظاهرة الإلحاد في التاريخ الإنساني:

1- لم يكن الإلحاد في التاريخ الإنساني ظاهرة بارزة، ذات تجمّع بشري، أو مذهبًا مدعّمًا بمنظمات ودول، والكفر السائد قد كان كفر الشرك بالله.

إنما كان الإلحاد ظاهرة فردية شاذة، وربما اجتمع عليه فئات قليلة شاذة من هواة الإجرام، والظلم والعدوان، والفسق والفجور والطغيان، وربما كان نزعة متألّه متسلط من البشر، يجحد الرب الخالق ليجعل نفسه إلهًا، فيعبده الناس من دون الله.

ومعظم النزعات الإلحادية التي ظهرت في التاريخ البشري، وعند بعض الأفراد، إنما كانت عرضًا طارئًا على نفوسهم وأفكارهم، ونزغات غير مستقرّات، ظهرت في بعض مراحل حياتهم، ولأسباب نفسيّة أو اجتماعيةٍ مرّوا بها، ثمّ خَبَتْ هذه النزعات والنزغات، ثمّ انطفأت نيرانها.

وكثير من هؤلاء صحا من سكراته ورعوناته، وعاد إلى حظيرة الإيمان.

2- ولم يصبح الإلحاد ظاهرة وبائية في كتل بشرية وتجمُّعات إنسانية ثقيلة وخطيرة، إلا بعد أن خطط اليهود لنشر الإلحاد في الناس، ولجعله مذهبًا، وإقامة منظمات ودول كبيرة تدين به، وتكونُ مناخًا طبيعيًا في أيدي شياطينهم، الذي يحتلون من هذه المنظمات والدول مراكز القيادة والتوجيه، ثمّ عملوا بكل ما أوتوا من مكر وخبث ودهاء وقوة ومال، لتحقيق هذا الهدف، الذي زعموه ممهدًا لإقامة دولتهم الكبرى، التي يحلُمون بأن تحكم العالم كله.

جاء في البروتوكول الرابع، من برتوكولات شياطين صهيون: « يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول "الجوييم " الأميين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية، ورغبات مادية ».

والحركة الصهيونية أرادت نشر الإلحاد في الأرض فنشرت العلمانية لإفساد أمم الأرض بالإلحاد والمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية كي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها، وعندما يخلو الجو لليهود يستطيعون حكم العالم.

نشر اليهود نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ ونظريات فرُويِد في علم النفس ونظرية دارْوِن في أصل الأنواع ونظريات دور كايم في علم الاجتماع، وكل هذه النظريات من أسُس الإلحاد في العالم.

ومع ظهورِ بوادرِ الإلحادِ، نشأتْ العديدُ من المدارسِ والمذاهبِ الفكريّةِ والاجتماعيّةِ، والتي تَصُبُ فَي مصبِّ الإلحادِ، وتستلهمُ منهُ مادّتها، وَترسّخُ مبادئهُ، ومن أشهرِ تلكَ المذاهبِ والمدارس: العلمانيّة، والوجوديّة، والشيوعيّة، والوضعية، والدارَوينيّة.

وهناكَ العديدُ من المدارسِ غيرُ ما ذُكرَ، وكذلكَ النظريّاتِ، سواءً ما كانَ منها علميًّا بحتًا، أو اجتماعيًّا، أثّرتْ أو تَأثرتْ بالإلحادِ، وقامت بترسيخِ مفاهيمهِ، ودعتْ إليهِ.

الإلحاد أوْهَى من بيت العنكبوت:

كلما انحرف الناس عن عبادة ربهم، ونسوا إرشاد رسلهم، وحاولوا أن يجعلوا الله رمزًا في الأرض مجَسَّدا، يعتقدون فيه، أولا أن فيه سر إلهي خاص، فيقدسونه، وتمر الأيام وهم يزدادون مغالاة في تقدس هذه المخلوقات، حتى ينسب إليها الأعمال الخارقة وتجعل شريكا الله في التقديس والعبادة.

وقد تزداد الجهالة فتتخذ هذه الأصنام آلهة من دون الله فيعبدونها.

وقد تزداد الجهالة كما حدث لنا التاريخ كثير منها: عبادة الفراعنة والعجول والأبقار والنجوم والأحجار والبحار والرعد والشمس والقمر والمطر وغير ذلك من المظاهر الطبيعية وكذلك اليهود والنصارى نسبوا إلى الله ﷻ الولد والزوجة.

إن وجود الله ﷻ شئ بديهى؛ واضح وضوح الشمس في رابعة النهار؛ وكما أن وجود الشمس لا يحتاج إلى دليل؛ وكَوْن الواحد نصف الاثنين لا يحتاج إلى تعليل؛ فكذلك وجود الله ولكننا حين نسوق الأدلة على وجود الله فذلك فقط ليزداد المؤمن إيمانًا والموحد ثباتًا ويقينًا؛ وليكون حجة على كل ملحد جاحد أغمض عينه عن هدى الله سبحانه وتعالى وسد أذنيه وجعل على قلبه غشاوة.

إن شعار الإسلام: (لا إله إلا الله) يعنى: إيمان بوجود الله ووحدانيته في ألوهيته ربوبيته وأسمائه وصفاته العلى؛ فوجود الله تعالى يقين لا يدانيه الشك؛ وحق لا يعتريه الريب؛ ذاك أن وجود الله هو أعظم حقيقة في الوجود كله؛ وما كان للوجود أن يكون لولا وجود مكونه؛ وما كان للخلق أن يكون لولا وجود خالقه؛ فهو من الأمور البدهية.

يزعم الملاحدة أن الدين هو خرافة وأساطير ولكنهم في المقابل اعتنقوا الدين الجديد الذي هو الوثن الأكبر:

هذا الوثن الأكبر هو مجموع الأوثان السابقة: أي إذا جمعنا (الشمس بخصائصها والقمر بخصائصه والبحار بخصائصها والأمطار والبقر والعجول والأحجار والإنسان بخصائصه و... و... إلخ) نحصل على **الوثن الأكبر وهو الطبيعة** التي تحوي جميع تلك الخصائص وبالتالي تم جمع جميع تلك الأوثان في الوثن الواحد هو **(الوثن الأكبر)** وزعم الوثنيين الجدد أنه الخالق.

كيف تأسس هذا الدين الوثني الجديد؟

شاهد بعض العلماء الطبيعيين تكَوُّن (دود) على براز الإنسان أو الحيوان، وتكوُّن بكتريا تأكل الطعام فتفسده، فقالوا: ها هي ذي حيوانات تتولد من الطبيعة وحدها وراجت هذه النظرية التي مكنت للوثن الجديد في القلوب.

لكن الباطل يزهق والحجة تقام من رب العالمين فما لبث أن كُشِف باطل هذه النظرية على يد العالم الفرنسي المشهور (باستير) الذي أثبت أن الدود المتكون، والبكتريا المشار إليها لم تتولد ذاتيًا من الطبيعة وإنما من أصول صغيرة سابقة لم تتمكن العين من مشاهدتها.

الفرق بين الوثن الأكبر والأوثان القديمة:

كانت الوثنيات القديمة تزعم أن هذه الخصائص من الطبيعة مثل الشمس فيزعمون أنها مَلَكٌ من الملائكة، وأن القمر هو فلان والأصنام هي وساطة تقربهم من الإله وهلم جر. أما الوثنية الحديثة - الإلحاد - فتزعم أن هذه الطبيعة هي كل شيء وانتهي الأمر فهي خالق وهي مصور وهي محكم وهي المنظم وهي ... إلخ وحدها.

فمن هو أفضل عقليًّا وعلميًّا من الآخر؟؟

الفرق بين الوثن الأكبر والإنسان:

إذا تأملت الإنسان في نفسه وقارنته مع الطبيعة فإنك ستجد:

- الإنسان عاقل ... الطبيعة لا عقل لها.
- الإنسان عالم ... الطبيعة لا علم لها.
- الإنسان مريد ... الطبيعة لا إرادة لها.
- الإنسان سميع ... الطبيعة لا سمع لها.
- الإنسان بصير ... الطبيعة لا بصر لها.
- إنه صاحب المشاعر ... الطبيعة لا مشاعر لها.
- إنه صاحب أحاسيس ... الطبيعة لا إحساس لها.
- يحكم الأعمال ... الطبيعة لا حكم لها.
- صاحب أخلاق ... والطبيعة لا أخلاق لها.

فهل يصدق عاقل أن يكون المخلوق أرقَى من خالقه؟؟

وهل يُعقل أن يكون العقل في الإنسان مما لا عقل له، والعلم في الإنسان مما لا علم له؟ والإرادة في الإنسان مما لا إرادة له؟ والسمع في الإنسان مما لا سمع له؟ والبصر في الإنسان مما لا بصر له؟ والمشاعر والأحاسيس في الإنسان مما لا مشاعر ولا إحساس له؟ وإحكام العمل في الإنسان مما لا حكمة له؟ والأخلاق في الإنسان مما لا خُلق له؟ كيف والحكمة العالمية تقول (فاقد شيء لا يعطيه)؟؟

الملحد يقهر ويسخِّر إلهه في خدمته!!!

نجد أن الطبيعة مسخرة للإنسان ومذللة له. فسخر الله ﷻ الهواء والبحر والشمس والقمر والنجوم والتراب والرياح، واستخدم الإنسان المعادن والنبات والحيوانات لمنفعته و... إلخ حتى لوث البيئة وانتشرت الأمراض وثقب طبقة الأوزون.

فعجبًا لهذا الإله الحقير- الطبيعة – الذي يخلق مَن يقهره ويذله ويتحكم فيه كيفما يشاء. وعجبًا للخالق لا يستطيع أن يرد الأذى عن نفسه.

إني أرى الإلحاد عاريًا:

يُروَى أن أحد الملوك كان يستمتع بنفاق حاشيته وشعبه، فخرج عليهم في الاحتفال بذكري تتويجه، خرج عليهم عاريًا، فأخذت الحاشية تمدح الملك وتثني علي جميل ثيابه وعظيم حيائه ومرهف حسه، ومن وراء الحاشية ردد المنافقون من الشعب مثل مقالهم، ولكن طفلًا نظر إلي الملك وتعجب وقال ببراءة الأطفال: « لكني أري الملك عاريًا !!».

كذلك حال الإلحاد والملحدين!!

الإلحاد عورة فكرية، والملحد يعرض عورته الفكرية علي أقرانه، فيتسارعون إليه زرافاتٍ ووحدانًا، ويكيلون له الثناء أشكالًا وألوانًا، لكن ببساطة وبعيدًا عن النفاق: « لكني أري الإلحاد عاريًا!! ».

أخي المسلم!! يا من رأيت رماد الإلحاد فحسبته نورًا، انزع هذه الأردية الكاذبة التي تحول دون رؤية الفكر الإلحادي وعُريه الفاضح.

أيها الملحد:

لقد حث الدين على التفكر والتأمل، ولكن الدين لم يطلق لعقلك العنان يجوب في أي أفق أنّا شاء وكيفما يشاء؛ لأن الله أعلم منك بقصور عقلك؛ ولذلك فقد اختزل لك بعض الإجابات لتقف عند حدها ولا تتجاوزها!؟

فهناك أمور قدرية وهناك أمور غيبية أمور أخرى أشد تعقيدًا لا يعلمها الا الله وقد كفاك الله مؤنة البحث عن الإجابة في تلك المسائل بأن تكل السؤال وإجابته لله.

وبالتأكيد فالشيطان حريص كل الحرص على الدخول الى روح ابن آدم لغرس الشك والريبة المؤدية الى الحيرة والتشتت في نفس ذلك العبد

اعلم – هداك الله – أن عقلي وعقلك وعقل كل من على الكرة الأرضية سيظل عاجزًا عن فهم مكنونات الكثير والكثير من الأمور. وهذا ليس عيبًا فينا بل هذا هو جل ما نستطيعه.

أيها الملحد:

إننا عندما نؤمن بالله إنما ننسجم مع عقولنا وضمائرنا التي تؤكد وجوده. أما الماديون عندما يكفرون بالله فإنهم إنما يخالفون عقولهم وضمائرهم فإذا كان المؤمن يتوقف عند السؤال: « مَن خلق الله !!؟؟ ». ويجزم عقله بأنه مهما تسلسل في أسئلة: من خلق كذا فلابد من وجود خالق لم يُخلق، وهو الله ﷻ الواحد الأحد الصمد ﷻ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(الإخلاص: ١ – ٤).

أما الملحد فهو عندما يتوقف عند السؤال: « مَن خلق المادة » ويكفر بالله إنما يخالف عقله وضميره وكل جزء في الكون. **إن الذي لم ير مَن اخترع السيارة لا يجوز له أن ينكر أن هناك شخصًا قد اخترعها.**

أيها الملحد:

هذا هو عقل الإنسان. خلقه الله وأعطاه قدرة محدودة وطاقه استيعابية لا يستطيع بعدها أن يستوعب أمورًا لم يخلق ليستوعبها. فالعقل يستوعب وجود الله ﷻ وأنه الخالق وأنه الرازق لأنه يرى مخلوقات الله ويرى أن هذه الأشياء لابد لها أن تكون مخلوقة فيستدل على الخالق بمخلوقاته.

أيها الملحد:

إن هناك مناطق معرفية لا يستطيع خيال الإنسان وفكره وفضوله التعايش فيها؛ لأن هذا الخيال وهذا الفضول لا يعيشان من غير تهذيب بأسس منطقية عقلية علمية.

وهذه الأسس يصل إليها الإنسان بسهولة في عالم الشهادة (الحياة الدنيا) أما عالم الغيب فلا نستطيع التعرف على قوانينها ولا نملك الأدوات لنتمكن من ذلك.

بل إن بعض جوانب عالم الشهادة لا يزال على قدر كبير من الغيب!!!

فالجاذبية مثلا لا تزال حتى اليوم لغزًا محيرًا، واليوم ينقسم علماء الفيزياء على مذهبين كبيرين في تفسير الجاذبية وبينهما نقاشات وحوارات يعرفها من يتابعها. وكلما ظن أحد العلماء أنه اقترب من تفسير وجد بعد عقبته عقبات وعاد لنقطة الصفر!!!

فها هي الجهود التي تبذل في عالم الشهادة تتحول إلى ألغاز وأحاجي أمام عقول البشر التي لا تقف عند حد ولا تعرف موانع!!! فلو بحث العقل عن إجابة فيما وراء "العبادة" بخياله وفضوله. فكم من الجهد سيبذل وكم من التعب سيذهب سُدًى!!! وبلا نتيجة!!! السبب: أنه لا يوجد ما يهذب به خياله وفضوله ليصل إلى إجابة لأسئلة تشكل الحياة وتحدد المصير الأخروي.

أيها الملحد:

إن مجال العقل الذي يصول فيه ويجول هو المجال المحسوس والمادي. ففيه ينمو وفيه يهذب الخيال والفضول ليصل إلى إجابات عملية عن أسئلة حقيقية ذات قيمة في عالمنا – عالم الشهادة. أما ما هو غير محسوس – البيئة التي لم يتمرن فيها العقل على

العمل ولا يملك أسسًا يستند عليها ولا قواعد ثابتة ينطلق منها - فقد تكفل الله ﷻ ببيان ما نحن بحاجة إليه حسب قدرة عقولنا على استيعابها. ومَن أعلم بها من خالقها. حتى نوفر طاقة هذه العقول فيما فيه فائدة لنا من علم وعمل وتقنية وفن؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء: ٣٦).

أيها الملحد أنت في النهاية عبد شئت أم أبيت!

لا تعجب وتمهل! فالأعجب أن تقول: « أنا سيد نفسي بلا منازع حرٌ في سلوكي واعتقادي لا يحدني حد ولا يمنعني مانع، أرفض العبودية بكل أطيافها وألوانها رفضًا قاطع مهما كان الشعار الذي تحمله وتحت أي بند تبرره! أنا سيد نفسي رغمًا عن الفطرة والعرف والمنطق والعقل والواقع! ».

فيقال لك: « مهلًا، أما أنا فأعترف بأني عبد! نعم!

أنا عبد. عبد لله وحده. وأيُّ حرية وسيادة ورفعة بعد هذا!!!

هو سيدي ومليكي ومولاي، خلقني ورزقني وتعهدني في صباي، وكان أرحم عليَّ من أبواي، كم أتشرف بأن أكون عبدًا له معترفًا بفضله واثقًا بعدله متيقنًا أن أسمى درجات الحرية والسيادة في تمام الخضوع له.

كلما انغمستُ في عبوديته وكلما رفضت عبودية غيره زادت إشراقة الحرية في قلبي واعتزازي بنفسي لأني في النهاية عبد!

فلْأكُن عبدًا له وحده ولأكْفُر إذًا بما سواه.

نعم أيها الملحد إن قمة الحرية في أن تكون عبدًا لله (وحده).

أما أنت فلستَ سيد نفسك كما قلت وإنْ صُلتَ وجُلتَ !

فهدا خبرٌ يكذبه الواقع ويرفضه السامع إن كان فيه بقية عقل ومُسكة عدل.

فأنت في كل لحظة وفي أي حال عبدٌ لـ(....) بشكل من الأشكال ».

لا تقل: « لا ».

لا تتسرع، فَكِّرْ، تأمَّلْ، لا تُحَلِّقْ في الخيال.

ألستَ تعبد عقلك حين تبني نتائج حتمية على أدلة ظنية!

ألستَ تعبد المجازفة حيث تعلق مصيرك على اللاأدرية!!!

ألستَ تعبد هواك حيث لا ضوابط ولا حدود ولا معايير لتصرفاتك السلوكية! ألستَ تعبد غريزتك حين تنساق وراء شهواتك الحيوانية!

ألستَ تعبد ضعفك وقلة حيلتك حين تيأس من الأسباب المادية!

ألستَ، ألست، ألستَ!!! مهلًا مهلًا! لقد طف الصاع ... طف الصاع .... فاضت آلهتك ولم يعد لها في العقل مكان.

تهرب – عبثًا – من الواحد الأحد لتعبد ألف إلهٍ وإله!

هذه والله من عجائب الحياة!

آلهة بالجملة حسب المقاس وبالمجان!

من يشتري؟ من يبيع؟ العَرض مفتوح إلى آخر الزمان!

أما أنا فأعبد إلهًا واحدًا عليمًا حكيمًا رحيمًا عادلًا بديع السماوات والأرض المنان.

مغالطات الملحدين

إن مكتوبات ملاحدة القرن العشرين، محشودة بالمغالطات الفكرية المقرونة بزخرف من القول، والمقَنَّعة بقناع العلمانية. فهي تحاول أن تُدَلِّي قارئها بغرور إلى مواقع الباطل، مغشية بصره وبصيرته حتى لا يرى وجه الحق الجميل، ثم تنتقل به من تضليل إلى تضليل، مستخدمة عبارات الأمانة العلمية، وغوغائيات كلمات التقدم الصناعي والتكنولوجيا، ومُعْطِيَةً أحكامًا قطعية على مذاهب ومبادئ لا تمثل إلا وجهة نظر معينة لفئة من العلمانيين.

وتسير جدليّاتهم ضمن هذا المنهج من المغالطات والغوغائيات والتقريرات، والعبارات التي تتصنَّع الهدوء والمنطقية، وتستغل كل ثقل التقدم العلمي الذي أحرزه إنسان القرن العشرين لأنفسها ومذاهبها، مع أن التقدم العلمي والتكنولوجيا بعيد كل البعد عن دعم مذاهبها، أو تأييد إلحادها بالله ﷻ، وجحودها اليوم الآخر، لدى تحري الحقيقة بصدق، في كل مجالات التقدم الصحيح الحق، في العلوم المادية والتكنولوجيا.

وتدس جدلياتُهم في بعض عباراتها نفثات الهزء والسخرية، وتبجحات التعاظم بالتقدم العلمي والصناعي، وذكر الأسماء الأجنبية المعروفة في ميادين المعرفة والعلوم المادية وسيلة للتأثير على الضعفاء المراهقين في عقولهم ونفوسهم، الذين لا يصمُدون لاستهزاء المستهزئين من أهل الباطل، وتستهويهم مظاهر الاستكبار والتعاظم، وتخدعهم دعاوَى المعرفة والتقدم العلمي الحديث، وتؤثر في نفوسهم الأسماء المشهورة في ميادين العلم.

وأمام هذه المغالطات والغوغائيات الجدلية، تتذكر قول تَعَالَىٰ: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ (الكهف: ٥٦).

إن جدليات أساطين الإلحاد كلها تعتمد على المغالطة الفاحشة الوقحة، أو المغالطات المقنعة بالحيلة والخداع، ولدى إحصاء هذه المغالطات تجدها تعتمد على العناصر التالية:

١- تعميم أمر خاص، والمغالطة هنا تنسب إلى بعض أفراد العام ما ليس له من أحكام بغية التضليل.

٢- تخصيص أمر عام، والمغالطة هنا تنفي عن بعض أفراد العام ما له من أحكام بغية التضليل.

٣- ضم زيادات وإضافات ليست في الأصل.

٤- حذف قيود وشروط لازمة، يؤدي حذفها إلى تغيير الحقيقة.

٥- التلاعب في معاني النصوص لإبطال حق أو إحقاق باطل.

٦- طرح فكرة مختلفة من أساسها للتضليل بها.

٧- تصيّد بعض الاجتهادات الضعيفة لبعض العلماء وجعلها هي الإسلام، مع أنها اجتهادات منتقدة مردودة من قبل مجتهدين آخرين، أو من قبل جمهور علماء المسلمين.

٨- التقاط مفاهيم شاذة موجودة عند بعض الفرق التي تنتسب إلى الإسلام، وإطلاقها على أنها مفاهيم إسلامية مُسلَّم بها عند المسلمين، والإسلام منها بريء براءة الحق من الباطل.

٩- نسبة أقوال أو نصوص إلى غير قائليها أو إلى غير رواتها.

١٠- كتمان أقوال صحيحة، وعدم التعرض إليها مطلقًا، مع العلم بها وشهرتها.

١١- الإيهام بأن العلوم المادية ملحدة على خلاف ما هي عليه في الواقع.

وعلى هذا النمط تسير مغالطاتهم ضمن تلاعبات كثيرة فيها خيانة للعلم وللحقيقة.

ولكن نرجو أن لا تنطلي مغالطاتهم وحيلهم وألاعيبهم على مثقفي هذه الأمة، وأن يكتشف الجميع خيانتهم لأمتهم وتاريخها، وخيانتهم لأنفسهم إذ باعوا نفوسهم لأعداء الحق شياطين الإنس.

أخبرونا مَن خلقكم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٦).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٧)، قَالَ: « كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ » (رواه البخاري).

(كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ) أي قارب قلبي الطيران لما سمع هذه الآية مما تضمنته من بليغ الحجة. وكان سماعه لهذه الآية من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام.

مصادر الإيمان بوجود الله عز وجل:

إن الذي فرض علينا أن نعلم به قد خلق لنا أدوات للعلم التي بها نتعلم، وأوجد لنا مصادر نأخذ منها حقائق العلم، وأدلة الإيمان وبراهينه، وتتمثل تلك المصادر فيما يأتي:

١ - آيات الله في الآفاق والأنفس:

إن آثار صفات الله ومعالم بديع صنعه مبثوثة في كل ناحية من نواحي هذا الكون، فكل ما في الكون من مخلوقات دليل مشاهد على الخالق الذي خلقه وأحكمه وأبدعه. وهذه الأدلة والبراهين واضحة الدلالة لأصحاب العقول والألباب التي تريد معرفة الحق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ

ﭐلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ (آل عمران:١٩٣-١٩٤).

قيل لأعرابية: « إن فلانًا من العلماء قد فرغ الليلة من إقامة ألف دليل على وجود الله تعالى »؛ فقالت: « لأن في نفسه ألف شبهة ».

أما هي فالأمر عندها لا يحتاج إلى إثبات.

سُئل الإمام الشافعي رحمه الله: « ما الدليل على وجود الله؟! ». قال: « الدليل على وجود الله ورقة التوت؛ تأكلها دودة القز فتعطى الحرير؛ وتتناولها النحلة فتعطى عسلًا؛ وتتناولها الغزالة فتعطى مسكًا؛ وتتناولها النعَاج فتعطي لبنًا؛ وتتناولها البعير فتعطى بعرة؛ من عصارة ورقة واحدة نتج أنواع متعددة من الأطعمة؛ فمن الذي نَوَّع هذا الطعام؟! ».

وقد استدل الإمام أبو حنيفة رحمه الله بأدلة الكون في الآفاق والأنفس لمن حاوره من الزنادقة عندما سألوه عن وجود لله، فقال: « دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها، ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيئ، وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ».

فقالوا: « هذا شيء لا يقوله عاقل! ». فقال: « ويحكم!! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟ ».

فبهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

وسُئل بعض الأعراب عن الدليل على وجود الرب تعالى فقال: « يا سبحان الله ! إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ».

٢- معجزات الرسل ورسالاتهم عليهم السلام:

لقد جرت سنة الله في أنبيائه أن يؤيدهم بالآيات الواضحة وأن يسوق بين أيديهم ما يلفت الأنظار ويستهوي الأفئدة، ثم ما يبين معالم اليقين، وعناصر الاستقرار ودواعي الطمأنينة في النفوس أنهم مرسلون من عند الله سبحانه وتعالى، وأنهم أنبياؤه وإن كل ما آتى الله عز وجل رسله من معجزات خارقة لسنن الكون وقوانين الحياة هي دليل على صدق نبوتهم، وثبوت رسالتهم، وأنهم مرسلون من عند الله، ويتلقون عنه، ويأخذون تعليمهم منه، وأن هذه الآيات والمعجزات كانت فوق مقدور البشر، وهي أيضًا مخالفة لسنن المادة، وخارقة للعادات المعروفة.

وقد تعددت معجزات الأنبياء بحسب الظروف والأوضاع التي كان يعيشها كل نبي في أمته. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « **مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ** » (رواه البخاري).

وتُثبت هذه الآيات صِدْق الرسول، وأنه مرسل من ربه، فتكون مصدرًا من مصادر العلم بالله، التي جاءت من عنده تأييدًا لرسله، وتصبح الرسالة التي يأتي بها رسل الله عليهم السلام مصدرًا آخر لتعريفنا بالله وصفاته، وبما غاب عنا من شأنه سبحانه وتعالى.

٣- القواعد العقلية:

إن للعقل أدلة قاطعة يحسم بها ما يعرض عليه من القضايا، ويرد بها على الشبهات الزائفة، ذلك لأن الله فطر العقل على موازين ومقاييس وأحكام جلية يقرر بها الحق، ويدفع بها الباطل، إن بين أيدينا قواعد عقلية إذا عرفتها وفهمتها، وعرفت تطبيقاتها تستطيع أن ترى الأدلة على الإيمان بالله في كل آفاق الكون.

أدلة عقلية على وجود الله:

القاعدة الأولى: العدم لا ينشئ وجودًا:

إن العدم لا يفعل شيئًا، وهذا أمر متفق عليه بين الناس جميعًا، ولا يخالفه إلا مكابر جاحد، فلا يمكن لأي عاقل أن يصدق أن الساعة التي بيدك؛ قد أوجدها العدم، وأنه لا صانع لها.

وهذه قاعدة مشتركة بين جميع العقلاء، وما نوقش أحد من الملحدين، ومن الباحثين، والعلماء الكونيين من غير المسلمين حول هذه القاعدة إلا سلّم بها. بل لو ضرب طفل على حين غرةٍ فسأل عن الذي ضربه، فقيل له: إن العدم فعل ذلك، لما صدق. فهذه القاعدة يُجْمِع عليها العقلاء حتى الأطفال؛ فلا بد لكل فعل من فاعل؛ ولكل مصنوع من صانع؛ ولكل مخلوق من خالق.

فاقد الشئ لا يعطيه:

هل يكون الفاعل من لا يملك القدرة على الفعل؟! وهل إذا رأينا قتيلا بجانب شجرة قائمة على أصولها قلنا: أن هذه الشجرة هي التي قتلت القتيل! وهل تأتي الشرطة لإلقاء القبض على هذه الشجرة بتهمة القتل! وهل الفصل هو الذي صنع المناضد والكراسي؛ لأنها موجودة بداخله؟! والجواب واضح لكل صاحب عقل متدبر: فالشجرة ليست القاتل نفسه، والفصل ليس الصانع، والسبب أن الشجرة لا تملك القدرة على قتل الناس بنفسها، والفصل لا يملك القدرة على صنع المناضد والكراسي. إذن: ليس الفاعل من لا يملك القدرة على الفعل، فالأوثان والطبيعة لا تملكان القدرة على الخلق.

إننا نشاهد في الكون حكمة بالغة في حين لا تملك الطبيعة حكمة ما. ونشاهد في الكون تدبيرًا عظيمًا معجزًا، ولا تملك الطبيعة تدبيرًا ما. ونشاهد في الكون خبرة فائقة وعلمًا شاملًا، ولا تملك الطبيعة علمًا ما. ونشاهد عقولًا مفكرة حكيمة تُخلق كل يوم، ولا تملك الطبيعة عقلًا أو تدبيرًا. ليس التدبير، والحكمة، والخبرة، والعلم، والخلق

المحكم، والعقول المفكرة من خلق وثن أو طبيعة. إنما ذلك كله من خلق خالق غير هذه المخلوقات المشاهدة مِن خَلْق الله، الحكيم، العليم، القادر، المريد، الخبير.

إن الكون المشهود كتاب مفتوح يشهد بوجود الله تعالى الذي خلقه فالنظام الدقيق والدقة الفائقة في كل أجزائه وموجوداته، تقر بأنه من صنع مدبر عليم حكيم عظيم قوي متين؛ إن الأدلة العقلية تثبت بيقين بأن الله تعالى موجود وجودا حقيقيا وأنه تعالى الذي خلق هذا الكون بكل ما فيه، وأن القول بخلاف ذلك لا يتفق مع العقل ولا مع الفطرة السليمة.

القاعدة الثانية: برهان النظم:

أوضح الأدلة على إثبات الله تعالى الذي يحكم به العقل هو دليل النظم والتدبير. فالكل يرى العالم بسماواته وأراضيه ، وما بينهما من مخلوقاته ورواسيه من المجرة إلى النملة. فنرى أجزاءها وجزئياتها مخلوقة بأحسن النظم ، وأتقن تدبير وأحسن صنع ، وأبدع تصوير ، فيحكم العقل أنه لابد لهذا التدبير من مدبر ، ولهذا التنظيم من منظم ، ولهذا السير الحكيم من محكم ، وذلك هو الله تعالى.

نقول للملحد: « هذا العالم الذي تراه ليس فيه إلا محْدِثْ أو محدَث(صانع أو مصنوع) فالسيارة مثلًا مصنوع والإنسان صانع وهكذا ». فيقول: « نعم ». ولا يستطيع أبدا أن ينكر هذا لأنها قاعدة متفق عليها ونحن ننطلق منها، فنقول له: « هل يوجد شيء غير هذا؟ ». (وهذا الذي يسمونه في علم المعاني التسجيل). فيقول: « لا ». فتقول: « هذا الشيء الذي لا يوجد نتفق على تسميته العدم ». إذن فعندنا ثلاثة: الخالق والمخلوق والعدم.

ثم تقول: « الخالق خلق المخلوق فيا ترى من هو الذي خلق الخالق ». فإن قال: « خلقه المخلوق » فقد عكس القاعدة وخالف ما اتفقنا عليه من قبل.

وإن قال: « خلقه العدم الذي اتفقنا على تسميته من قبل » فالقاعدة التي اتفق عليها العقلاء أن فاقد الشيء لا يعطيه فالعدم ليس له وجود فكيف يهب الوجود، فلا

بد أن يقول خلقه خالق أعظم منه. وهذه الثلاثة هي التي اتفقنا معه عليها فانحصر الكلام معه على أن الخالق هذا قد خلقه خالق أعظم منه.

فنتسلسل معه في السؤال فنقول: فهل هذا الخالق خلقه غيره فلا بد أن يقول نعم فنقول نحن إلى الآن لم نر إلا مخلوقًا احتاج إلى خلقه من غيره فهل في هذه السلسلة خالق لا يحتاج فإن قال: « نعم » ننتهي بخالق لا يحتاج إلى غيره فهذا هو المطلوب.

وإن قال: « لا بل كلها تحتاج إلى غيرها لخَلْقِها »، فنقول له: « إذن نحن مازلنا على طلب أن تخرج لنا الخالق الذي اتفقنا معك في البداية أن هذا العالم إما خالق أو مخلوق فأنت إلى الآن إنما ذكرت لنا المخلوق ولم تذكر الخالق المتفق معك على وجوده.

هذا الخالق المتفق معك على وجوده هو الله ﷻ.

إن القول بسبب أول للوجود يقتضي أن يكون هذا السبب واجب الوجود في ذاته؛ وليس معتمدًا ولا محتاجًا لغيره لكي يوجد. أما أن يكون السبب في حاجة إلى سبب فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية ولا يجعل منه سببًا أول.

القاعدة الثالثة: المخلوقات تدل على بعض صفات الله:

إن العلاقة بين المصنوع وصانعه وثيقة جدًا، وبها نستدل بالمصنوع على الصانع وبعض صفاته، فالمصنوع أثر مشاهد يدل على بعض صفات صانعه. لو تفكرت في السيارة التى تركبها فستعرف بعقلك معرفة قاطعة: أن صانع السيارة لديه حديد، وزجاج، وأسلاك، ومطاط. وأنه يقدر على تشكيل الحديد، والزجاج، والأسلاك، والمطاط بالأشكال المناسبة لصنعها. وأن لديه القدرة على تشكيل أجزاء السيارة كما تشاهدها بعينك.

وستعرف بعقلك بعض صفات صانع السيارة وتقرر: أن صانع السيارة خبير بصناعته. وأنه حكيم في عمله. وأنه دقيق في فعله. وأنه عاقل غير مجنون. كل هذه شهادات أساسها العلاقة بين المصنوع وصانعه. وهكذا يمكننا أن نعرف بعض صفات ربنا ﷻ عن طريق النظر إلى آثارها المشاهدة في المخلوقات أمامنا.

وبالبحث في الكون عن علامات الحكمة فسترى المخلوقات محكمة بكل أنواع الإحكام: إحكام اتزان، فكل جزء محكم في مقاديره، ومحكم مع مقادير سائر الأجزاء. وإحكام شكل، فكل عضو وجهاز قد أحكم شكله لأداء الوظيفة المقدرة له، وأحكم في عمله مع وظائف بقية الأعضاء والأجهزة الأخرى، فشكل القلب محكم مع وظيفته، وشكل الرئة محكم مع وظيفتها، وشكل ورق الشجر محكم يتناسب مع وظيفته. وسترى التدبير المحكم، والتقدير المتقن في هذه المخلوقات يخاطب عقلك: إن ربها عليم خبير. وسترى النعم المسداة، التي يتمتع بها الخلق تقول لعقلك إن ربها رحمن رحيم.

وسيناديك عقلك بأن الآثار المشاهدة المحسوسة لقدرة الله وسائر صفات أفعاله لا تكون إلا لخالق حي قيوم، هو الله سبحانه. وهكذا من تفكر في مخلوقات الله وجدها كالمرآة تشاهد فيها آثار بعض الصفات الإلهية فيؤمن بربه إيمانًا قويًا لا يتزعزع.

القاعدة الرابعة: امتناع الصدفة:

فإذا لم نؤمن بوجود الخالق لهذا الكون العظيم ، فلابد وأن نقول: بأن الصدفة هي التي أوجدته أو أن الطبيعة هي التي أوجدته. لكن من الواضح أنه لا يقبل حتى عقل الصبيان أن تكون هذه المخلوقات اللامتناهية وجدت بنفسها بالصدفة العمياء أو بالطبيعة الصماء.

القاعدة الخامسة: برهان الاستقصاء:

فإن كلًا منا إذا راجع نفسه يدرك ببداهة أنه لم يكن موجودًا أزليًا، بل كان وجوده مسبوقًا بالعدم، وقد وُجِدَ في زمان خاص، إذن فلنفحص ونبحث: هل أننا خلقنا أنفسنا؟ أم خلقنا أحد مثلنا؟ أم خلقنا القادر الله تعالى؟ ولاشك أننا لم نخلق أنفسنا، لعدم قدرتنا على ذلك، ولاشك أيضًا أن أمثالنا لم يخلقونا لنفس السبب، إذن لا يبقى بعد التفحص والاستقصاء إلا أن الذي خلقنا هو الله ﷻ، لأنه القادر على خلق كل شيء.

القاعدة السادسة: برهان الحركة:

إنا نرى العالم بجميع ما فيه متحركًا، ومعلوم أن الحركة تحتاج إلى محرك، لأن الحركة قوة والقوة لا توجد بغير علة. إذن لابد لهذه الحركات والتحولات والتغيرات ممن يحركها بحكمة وقدرة ، إن الذي يحركها هو الله تعالى الحكيم القدير.

القاعدة السابعة: برهان القاهرية:

إن الطبيعة تنمو عادة نحو البقاء لو لا إرادة من يفرض عليها الفناء. فالانسان الذي يعيش والأشجار التي تنمو لا داعي إلى أن يعرض عليها الموت أو الزوال إلا بعلة فاعلة قاهرة. فمن الذي يميت ومن الذي يزيل؟ ذلك الذي له القدرة على فناء مخلوقاته وهو الله ﷻ.

شهادات في عصر العلم

إن كبار الباحثين يمتازون عن غيرهم بأنهم - في غالبهم - يبحثون في الأمور بعقل مدرك ونظر ثاقب متجرد. لذا فإن شهاداتهم تعد ذات اعتبار كبير في الأمور التي يدلون فيها بآرائهم ونحن هنا نذكر أقوال بعض من العلماء المشهورين في قضية الوجود والخلق.

١- قال عالم الرياضيات إسحاق نيوتن مكتشف قانون الجاذبية: « إنه لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود مباهج عالم الطبيعة الزاهرة ومنوعاتها هذه بدون إرادة واجب الوجود أعني به الإله القادر قدرة مطلقة السميع البصير المكتمل الذي يسع كل شيء ».

٢- قال هيرشل عالم الفلك الإنجليزي: « كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية. فالجيولوجيون والفلكيون والرياضيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم، وهو في الواقع صرح عظمة الله وحده ».

٣- قال وولتر أوسكار لندبرج عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية الأمريكي: « أما المشتغلون بالعلوم الذين يرجون الله فلدَيْهم متعة كبرى يحصلون عليها كلما وصلوا إلى كشف جديد في ميدان من الميادين إذ إن كل كشف جديد يدعم إيمانهم بالله ويزيد إدراكهم وأبصارهم لأيادي الله في هذا الكون ».

٤- أما العالم الأمريكي الفسيولجى أندرو كونواى إيفى فقد قال: « إن أحدًا لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول إن الله موجود، كما إن أحدًا لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول. إن الله غير موجود، وقد ينكر منكر وجود الله تعالى ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل. وأحيانا يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولابد في هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكري، ولكنني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلًا عقليًّا واحدًا على عدم وجوده تعالى وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدله كثيرة على وجوده، كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين وما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين ».

من الذي
خلق هذا الكون العظيم؟

انظر إلى الكون لتتعرف على عِظَم خلق الله ﷻ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٧).

المجرة هي نظام كوني مكون من تجمع هائل من النجوم، والغبار، والغازات والمادة المظلمة التي ترتبط معًا بقوى الجذب المتبادلة وتدور حول مركز مشترك. ويقدر الفلكيون أن هناك حوالي **10,000,000,000** إلى **1000,000,000,000** مجرة تقريبًا في الكون المنظور (أي ١٠ مليارات إلى ١٠٠٠ مليار مجرة).

سبحان الله العظيم.

وأبعد مجرات تم تصويرها حتى الآن تبعد حوالي ١٠ إلى ١٣ مليار سنة ضوئية، تتراوح في أحجامها بين المجرات **القزمة**، التي لا يتعدى عدد نجومها **العشرة ملايين نجم** وتكون مساحتها حوالي **بضعة آلاف سنة ضوئية**، إلى المجرات العملاقة التي تحتوي على أكثر من **١٠٠٠ مليار نجمة** وحجمها يصل إلى **نصف مليون سنة ضوئية.**

وقد تحتوي المجرة الواحدة على أنظمة نجمية متعددة على شكل تجمعات نجمية، وقد تحتشد مجموعة من النجوم لتكون عناقيد نجمية أو مجموعات شمسية، وقد تحتوي أيضا على سدم وهي عبارة عن سحب غازية كثيفة.

واكتشف علماء الفلك أن هنالك الملايين من المجموعات الشمسية في المجرة الواحدة تتباعد المسافات بينها إلى حد كبير، ولا مجال للزحام في هذا الكون السحيق، فمثلا (مجرة المرأة المسلسلة) - التي هي أقرب المجموعات الكبيرة إلينا - **تبعد عنا نحو ٢,٥ مليون سنة ضوئية.**

ما هي السنة الضوئية؟

المسافات في الكون شاسعة جدًا بحيث تقاس بالسنين الضوئية، ولتقريب حجم المجرات يجب أن نعرف معنى السنة الضوئية، وهي وحدة قياس تستخدم للمسافات الكبيرة والبعيدة جدًا كالمسافة بين الأرض والنجوم. وتعرف السنة الضوئية على أنها المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة. وسرعة الضوء هي السرعة القياسية القصوى في الكون بحيث لا يوجد شيء أسرع من الضوء.

وتبلغ سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كيلومتر **في الثانية**، وبهذه السرعة فإن الضوء يقطع ١٨ مليون كيلومتر في الدقيقة، وهذه تسمى **الدقيقة الضوئية**. وتبلغ المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة **٩,٤٦٠,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر**، أي أن السنة الضوئية الواحدة تبلغ **٩,٤٦ تريليون كيلومتر**. (التريليون = مليون مليون).

ومجرتنا اسمها (مجرة درب التبانة) أو (الطريق اللبني)، ويوجد فيها أكثر من مائتي مليار من النجوم، ويقدِر العلماء قطرها بحوالي **١٠٠ ألف سنة ضوئية**، وتحوي الكثير من التجمعات النجمية، بما فيها المجموعة الشمسية، والتي ينتمي إليها كوكبنا كوكب الأرض. وتضم أيضًا نجومًا تدور فيها بسرعة تزيد عن ٣٠٠ كيلومتر في الثانية.

وتقع مجرتنا (مجرة درب التبانة) في نظام مجَرّي يحوي مجموعة من المجرات يسمى المجموعة المحلية. وتشمل المجموعة المحلية التي تشغل فراغ قطره نحو ١٠ مليون سنة ضوئية مجرة درب التبانة والمرأة المسلسلة، وهي أكبر من مجرتنا و٢٨ مجرة أخرى أصغر منهما.

هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (لقمان: ١٠ – ١١).

يتلو ﷻ على عباده، آثارًا من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونِعَمًا من آثار رحمته، فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ السبع على عِظَمِها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل. ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرُئِيَتْ، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله ﷻ.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحائها، لئلا ﴿ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ فلولا الجبال الراسيات لَمَادت الأرض، ولما استقرت بساكنيها.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي: نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب، التي هي مُسَخَّرة لبني آدم، ولمصالحهم، ومنافعهم. ولَمَّا بَثّها في الأرض، علم تعالى أنه لا بد لها من رزق تعيش به، فأنزل ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ماء مباركا، ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٍ كَرِيمٍ ﴾ المنظر، نافع مبارك، فرتعت فيه الدواب المنبثة، وسكن إليه كل حيوان.

﴿ هَٰذَا﴾ أي: خَلْقُ العالم العلوي والسفلي، من جماد، وحيوان، وسَوْقِ أرزاق الخلق إليهم ﴿خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ وحده لا شريك له، كلٌ مُقِرٌّ بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة.

ومن المعلوم أنهم لا يقدرون أن يُرُوه شيئًا من الخلق لها، لأن جميع المذكورات قد أقروا أنها خلق الله وحده، ولا ثَمَّ شيء يعلم غيرها، فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد.

ولكن عبادتهم إياها، عن غير علم وبصيرة، بل عن جهل وضلال، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: جَلِيٍّ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعًا

ولا ضَرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور.

مَن أنزلَ الأمطارَا، وفجَّرَ الأنهارَا، وأنْبَتَ الأزهارَا، تُزَخرِفُ الجبالْ؟!

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَن زيَّن السماءَ، وجَمَّلَ الفضَاءَ، وأرسل الضياءَ، ليَرْسِمَ الظِّلالْ؟

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَنْ عَلَّمَ العُصْفُورَا، في الجوِّ أنْ يطيرَا، ومَن جَلَّى الغديرَا، ودفَّقَ الشلاَّلْ؟

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَن أنْطَقَ اللِّسانَا، وأسْمَعَ الآذانَا، وعَلَّمَ الإنسانَا، وأبدَعَ الجمالْ

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَنْ ينشرُ الصباحَا، ويُرْسِلُ الرِّيَاحَا، ويَمْلأُ البِطَاحَا، مِن رِزْقِه الحَلَالْ؟

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

سبحان الله، وبحمد الله، ولا إله إلا الله.

وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(الذاريات: ٢٠ – ٢١). هذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض. ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسراره الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان وحين يحرم نعمة اليقين. إنه عجيبة في تكوينه الجسماني: في أسرار هذا الجسد. عجيبة في تكوينه الروحي: في أسرار هذه النفس. وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه. وهو يمثل عناصر هذا الكون وأسراره وخفاياه:

وتزعُمُ أنَّكَ جَرْمٌ صغيرٌ وفِيكَ انطوَى العالَمُ الأكْبَرُ

وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير. تكوين أعضائه وتوزيعها. وظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف. عملية الهضم والامتصاص. عملية التنفس والاحتراق. دورة الدم في القلب والعروق. الجهاز العصبي وتركيبه وإدارته للجسم. الغدد وإفرازها وعلاقتها بنمو الجسد ونشاطه وانتظامه.

تناسق هذه الأجهزة كلها وتعاونها، وتجاوبها الكامل الدقيق. وكل عجيبة من هذه تنطوي تحتها عجائب. وفي كل عضو وكل جزء من عضو خارقة تحير الألباب.

وأسرار روحه وطاقاتها المعلومة والمجهولة. إدراكه للمدركات وطريقة إدراكها وحفظها وتذكرها. هذه المعلومات والصور المختزنة. أين؟ وكيف؟ هذه الصور والرؤى والمشاهد كيف انطبعت؟ وأين؟ وكيف تُستَدعَى فتجيء. وذلك في الجانب المعلوم من هذه القوى. فأما المجهول منها فهو أكبر وأكثر. تظهر آثاره بين الحين والحين في لمسات وإشراقات تدل على ما وراء الظاهر من المغيب المجهول.

ثم أسرار هذا الجنس في توالده وتوارثه. خلية واحدة تحمل كل رصيد الجنس البشري من الخصائص وتحمل معها خصائص الأبوين والأجداد القريبين. فأين تكمن هذه الخصائص في تلك الخلية الصغيرة؟

وكيف تهتدي بذاتها إلى طريقها التاريخي الطويل، فتمثله أدق تمثيل، وتنتهي إلى إعادة هذا الكائن الإنساني العجيب؟! وإن وقفة أمام اللحظة التي يبدأ فيها الجنين حياته على الأرض، وهو ينفصل عن أمه ويعتمد على نفسه، ويؤذن لقلبه ورئتيه بالحركة لبدء الحياة.

إن وقفة أمام هذه اللحظة وأمام هذه الحركة لتدهش العقول وتحير الألباب، وتغمر النفس بفيض من الدهش وفيض من الإيمان، لا يقف له قلب ولا يتماسك له وجدان! وإن وقفة أخرى أمام اللحظة التي يتحرك فيها لسان الوليد لينطق بهذه الحروف والمقاطع والكلمات ثم بالعبارات.

بل أمام النطق ذاته. نطق هذا اللسان. وتصويت تلك الحنجرة. إنها عجيبة. عجيبة تفقد وقعها لأنها تمر بنا كثيرا. ولكن الوقوف أمامها لحظة في تدبر يجدد وقعها. إنها خارقة. خارقة مذهلة تنبئ عن القدرة التي لا تكون إلا لله.

وكل جزئية في حياة هذا المخلوق تقفنا أمام خارقة من الخوارق، لا ينقضي منها العجب ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾.

وكل فرد من هذا الجنس عالَم وحده. ومرآة ينعكس من خلالها هذا الوجود كله في صورة خاصة لا تتكرر أبدا على مدار الدهور. ولا نظير له بين أبناء جنسه جميعًا لا في شكله وملامحه، ولا في عقله ومداركه، ولا في روحه ومشاعره. ولا في صورة الكون كما هي في حسه وتصوره.

ففي هذا المتحف العجيب الذي يضم ملايين الملايين، كل فرد نموذج خاص، وطبعة فريدة لا تتكرر. يمر من خلالها الوجود كله في صورة كذلك لا تتكرر. كما لا توجد بصمة أصابع مماثلة لبصمة أصابع أخرى في هذه الأرض في جميع العصور!

وكثير من عجائب الجنس البشري مكشوفة للبصر، تراها العيون: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾. وما تراه العيون من عجائبه يشير إلى المغيب المكنون. وهذه العجائب لا يحصرها كتاب. فالمعلوم المكشوف منها يحتاج تفصيله إلى مجلدات. والمجهول منها ما يزال أكثر من المعلوم، والقرآن لا يحصيها ولا يحصرها. ولكنه يلمس القلب هذه

اللمسة ليستيقظ لهذا المتحف العجيب المعروض للأبصار والبصائر. وليقضي رحلته على هذا الكوكب في ملاحظة وتدبر، وفي متاع رفيع بتأمل هذا الخلق العجيب، الكامن في ذات نفسه وهو عنه غافل مشغول.

- في الأذن مائة ألف خلية سمعية. وتنتهي الأعصاب بأهداب دقيقة. دقة وعظمة تحير الألباب. وفي الأذن ما يشبه شبكية العين وفيها ثلاثون ألف خلية سمعية لنقل أدق الأصوات، وفي الدماغ جهاز يقيس التفاضل الزمني لوصول الصوت إلى كل من الأذنين معًا وهذا التفاضل يقل عن جزء من ألف وستمائة جزء من الثانية وهو يكشف للإنسان جهة الصوت.
- وفي شبكية العين عشر طبقات في أخراها مئة وأربعون مليون مستقبل للضوء، ما بين مخروط وعصية ويخرج من العين إلى الدماغ عصب بصري يحوي مئة ألف ليف عصبي. ولو درّجنا اللون الأخضر مثلًا إلى ثمان مئة ألف درجة لاستطاعت العين السليمة أن تميز بين درجتين.
- عدسة عينيك تجمع كل الأشعة في بؤرة، ولا يحصل الإنسان على مثل ذلك في أية مادة من جنس واحد كالزجاج مثلًا.
- يبلغ العدد الإجمالي للشعر في الإنسان 5 ملايين شعرة منها ١٠٠,٠٠٠ في فروة الرأس، ويسقط منها الشعر بمعدل طبيعي بواقع ١٠٠ يوميًّا.
- لا توجد بصمة أصابع مماثلة لبصمة أصابع أخرى في هذه الأرض في جميع العصور!
- أكبر خلية في جسم الإنسان هي البويضة ، وأصغر خلية هي الحيوان المنوي.
- يستخدم الإنسان حوالي ٢٠٠ عضلة ليخطو خطوة واحدة.
- كل قدم تحتوي على ٢٥٠,٠٠٠ غدَة عَرَقية.

- المثانة الممتلئة يصل حجمها لحجم كرة قدم.
- خلية العقل البشري الواحدة يمكنها تخزين معلومات تساوي خمسة أضعاف ما تحتوية الموسوعة الكبرى Encyclopedia Britannica.
- متوسط مدة أحلام الفرد ٢-٣ ثواني.
- تحتوي كل قدم على حوالي تريليون (مليون مليون) خلية بكتيرية.
- عندما تنظر لشخص تحبه، فإن حدقة العين (إنسان العين) تتسع، والعكس عندما تنظر لشخص تكرهه.
- الجهاز العصبي ينقل المعلومات للمخ بسرعة ١٨٠ ميل في الساعة.
- أنف الإنسان تستطيع تذكر وتمييز ٥٠,٠٠٠ رائحة مختلفة.
- الإناث لهم حاسة شم أقوى نتيجة هرمون "الأستروجين".
- تستطيع العين البشرية إدراك ١٠,٠٠٠,٠٠٠ لون مختلف.
- عظمة الفك هي أقوى عظمة في جسم الإنسان.
- حجم ما تنتجه من لعاب طوال حياتك يساوي ١٠,٠٠٠ جالون.
- ٦٠٪ من وزن الفرد البالغ عبارة عن ماء ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾(الأنبياء: ٣٠).
- بطانة المعدة تتجدد كل ٣ أيام لتحمي المعدة من هضم نفسها بفعل عصارتها الهاضمة.
- يحتوي جسمك على حوالي ٦٣٠ عضلة ، تستخدم منها ١٦ عضلة عند التبسم، و٤٣ عند تقطيب الحاجبين.
- يحتوي حبلك الشوكي على ١٠ بليون (ألف مليون) خلية عصبية.
- عضلات العين هي أسرع العضلات استجابة، حيث تنقبض في أقل من ١ على ١٠٠ جزء من الثانية.

- على سطح اللسان تسعة آلاف نتوء ذوقي لمعرفة الطعم الحلو والحامض والمالح والمر.
- كل حرف ينطقه اللسان يسهم في تكوينه سبعة عشر عضلة فكم حركة تحركتها عضلات اللسان في خطبة تستغرق ساعة من الزمن؟!!!
- وهناك أيضًا في الأمعاء ثلاثة آلاف وستمائة زغابة معوية للامتصاص في كل سنتيمتر مربع وهذه الزغابات تتجدد كليًا في كل ثمان وأربعين ساعة.
- تحت سطح الجلد يوجد حوالي ستة عشر مليون مكيف لحرارة البدن يعمل على جعل حرارة الجسم ثابتة وهذه المكيفات هي الغدد العرقية.
- في الكبد ثلاثمائة مليار خلية يمكن أن تتجدد كليًا خلال أربعة أشهر.
- وظائف الكبد كثيرة وخطيرة ومدهشة في الإنسان بحيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات.
- وفي الكليتين مليونا وحدة تصفية طولها مجتمعة مائة كيلو متر يمر فيها الدم في اليوم مرات كثيرة.

هل يعقل أن تتشكل كل هذا الأجهزة والأعضاء وبكل هذه الدقة والتوازن وعلى هذا النحو المدهش بدون خالق يخلقها ويدبر أمورها ويسيرها وفق نظام دقيق معين لا تحيد عنه؟!!!!

أليس هذا النظام العجيب دليلًا ما بعده دليل على وجود الله تعالى؟!!!!

ولو كانت الطبيعة قد خلقت هذا الكون كله وما يحويه من نظام متكامل لو اضطرب فيه شيء عن عمله ووظيفته الأساسية لأدى إلى خلل في هذا النظام المتكامل فلو كانت قد خلقته الطبيعة كما يدَّعي بعض الجهال فكيف تمده بالقوة ليستمر في هذا النظام؟؟؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(الذاريات: ٢٠ – ٢١).

ألا يدلك هذا على الخالق؟!!! ألا يدلك على أن موجد هذا الكون وهذه الأمور العظيمة هو الله تعالى؟!! فهل يمكن للطبيعة أن تخلق هذا؟؟!!!

ومن يدعي أن الكون قد تشكل بالمصادفة فالنصيحة أن يتفكر في أن المصادفة تكون على أمور بسيطة كأن تلتقي بصديق لك لم تره منذ سنين بحيث لم تمهد لهذا اللقاء وإنما كان تلقائيًا.

فالصدفة هنا تكون معقولة لأن الأمر بسيط. وكلما تعقد الأمر قلت إمكانية المصادفة. هكذا حتى تنعدم في الأمور المعقدة جدًا كخلق الكون وما فيه وما عليه من كائنات.

وها هنا مثال على ذلك:

لو ذهبتَ إلى أحد المطابع التي تقوم بطبع الكتب فوجدت صندوقًا مليئًا بالأحرف العشوائية غير المرتبة فأمسكت بهذا الصندوق وقلبته بطريقة غير مقصودة ووقع ما فيه على الأرض.

هنا إن إمكانية أن تصطف الحروف بجانب بعضها لتشكل كلمة مفهومة مكونة من ثلاثة أحرف أو ما يزيد، إن هذا الأمر مقبول أما أن تتشكل جملة مفيدة مكونة من خمس أو ست كلمات فإن المصادفة تكون أضعف بكثير.

ولكن أن يتشكل كتاب قيم في علم النفس مثلًا يكون ذا أهمية علمية عظيمة يرجع إليه الناس كمرجع هام فإن هذا مستحيل عقلًا ومنطقًا.

وعلى هذا الأساس يجب أن تقيس الكون والمخلوقات.

لماذا أنكر
الملحدون وجود اللّه ﷻ ؟

إن ناسًا فى القديم وفى الحديث أنكروا وجود الله لأنهم لم يدركوه بحواسهم ورموا المؤمنين بأنهم: واهمون؛ وضالون؛ وخرافيون؛ ومشوشون؛ وغير علميين إلى أخر هذه السلسلة الطويلة من السب والهزء والسخرية والازدراء التى يوجهها الكافرون بالله إلى المؤمنين لأنهم آمنوا عن طريق الحواس.

إن واقع الملحدين المادى يكذبهم فهم مثلًا يؤمنون بالجاذبية الأرضية وهم لا يرونها ولم يشاهدوها بل رأوا أثارها، ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا أثاره، ويؤمنون بوجود الإلكترون والنيترون ولم يشاهدوا إلكترونًا أو نيترونًا، فواقع أمرهم يدل على أنهم أمنوا بأشياء لم تدركها حواسُّهم. ولكن آثارها هى التى دلّتْهم عليها وهم منها على يقين لا يخالطه شك وهذا يعنى أن كثيرًا من حقائق الوجود يؤمن بها هؤلاء لإحساسهم بآثارها دون رؤيتهم لها.

نكتة:

ومن طرائف أجوبة الفطرة على مثل هذا الاتجاه موقف يقال إنه وقع فى مدرسة ابتدائية، حيث قال المعلم لطلاب السنة السادسة: « أترونني؟ ». قالوا: « نعم »، قال: «فإذن أنا موجود ، أترون اللوح؟ ». قالوا: « نعم »، قال: « فاللوح إذن موجود »، ثم قال: « أترون الله؟ »، قالوا: « لا »، قال: « فالله إذن غير موجود ». فوقف أحد الطلاب الأذكياء؛ وقال: « أترون عقل الأستاذ؟ »، قالوا: « لا ». قال: « فعقل الأستاذ إذن غير موجود ».

ويبدو أن هذا الوهم الذى يتمسك به كثير من الكافرين قديم قدم الكفر، ويحدد القرآن أسباب هذا الطلب بأنها الجهل، الكبر، الانحراف والظلم:

١- **الجهل:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ١١٨).

٢- الكبر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (الفرقان ٢١-٢٢). وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(النمل: ١٤).

٣- الانحراف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾(غافر: ٣٦-٣٧). تأمل قول الله تَعَالَى: ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ فليس ما تصوره فرعون طريقًا يعرف به الله هو الطريق الصحيح بل هو الطريق الخاطئ.

٤- الظلم:

وآية أخرى تحدثنا أن اليهود طلبوا هذا الطلب ظلمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(البقرة: ١٥٣).

ولئن سار على هذا الدرب بعض الناس، فليس للمسلم أن يقتفى أثر الضالين فيقع فيما حذره الله منه. في قوله تَعَالَى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(البقرة:١٠٨).

اعترافات ملحد تائب:

يقول الدكتور مصطفى محمود ﵀ عن رحلته مع الإلحاد: « إن زهوي بعقلي الذي بدأ يتفتح وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج التي انفردتُ بها كان هو الحافز دائمًا. وكان هو المشجع. وكان هو الدافع. وليس البحث عن الحقيقة ولا كشف الصواب. لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي وأعجِبْتُ بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبداية الصحوة من مهد الطفولة ».

ويضيف: « لقد غابت عني أصول المنطق ولم أدرك أني أتناقض مع نفسي إذ **كيف أعترف بالخالق ثم أقول ومن خلق الخالق** فأجعل منه مخلوقًا في الوقت الذي أسميه خالقًا **وهي السفسطة بعينها**. ثم إن القول بسبب أول للوجود يقتضي أن يكون هذا السبب واجب الوجود في ذاته؛ وليس معتمدًا ولا محتاجًا لغيره لكي يوجد.

أما أن يكون السبب في حاجة إلى سبب فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية ولا يجعل منه سببًا أول. هذه هي أبعاد القضية الفلسفية التي لم تكن واضحة في ذهني في ذلك الحين ».

ويقرر: « واحتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل والحوار مع النفس وإعادة النظر ثم إعادة النظر في إعادة النظر؛ ثم تقليب الفكر على كل وجه لأقطع فيه الطريق الشائكة من الله والإنسان إلى لغز الحياة إلى لغز الموت. لم يكن الأمر سهلًا؛ لأني لم أشأ أن آخذ الأمر مأخذًا سهلًا ».

ويعترف: « لو أني أصغيتُ إلى صوت الفطرة وتركتُ البداهة تقودني لأعفَيْتُ نفسي من عناء الجدل ولقادَتْني الفطرة إلى الله ». ويؤكد اعترافه: « إنني جئت في زمن تعقد فيه كل شيء وضعف صوت الفطرة حتى صار همسًا وارتفع صوت العقل حتى صار لجاجة وغرورًا واعتدادًا. فتصور نفسه القادر على كل شيء وزج نفسه في كل شيء وأقام نفسه حاكمًا على ما يعلم وما لا يعلم ».

هل العقل وحده يكفى لتحقيق الإيمان بالله ﷻ؟

قد يَدَّعِي مدع أن العقل فى إمكان الاستقلال بهداية الإنسان وتوجيهه إلى ما يصلحه ويسعده، ولكن الواقع الملموس يكذب هذا فقد رأينا الكثير من الأمم والشعوب التى فقدت هداية الوحى الإلهى، لم تُغْنِ عنها هداية العقول شيئًا فضلت وهلكت والقرآن يقص علينا أخبار هؤلاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(الأحقاف:٢).

إن الحضارة المادية قد أفلست فى منح الإنسان راحة قلبه وهدوء نفسه فما الذى يعينه ويساعده على الوصول إلى بغيته ويخرجه من أزمات الحياة ومتناقضاتها بأمان وسلام إنه الإيمان بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(طه:١٢٣-١٢٤).

إن حاجة الإنسان إلى الهداية والإيمان تنبثق قبل كل شيء من حاجته إلى معرفة حقيقة نفسه ومعرفة الحقائق الكبرى، وأجلها وجود الله تعالى ووحدانيته وكماله المطلق وبمعرفة الله والإيمان به تنحل عقد الوجود ويتضح المنهج والطريق.

حوارات مع ملحدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨ البقرة: ٢٥٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا

يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ (القصص: ٣٨ – ٤٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٣ – ٢٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٞ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنٗا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقٗا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخْشَىٰ** ﴾ (طه: ٤٣- ٧٧).

معجزة القرآن الكريم

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

إن من المعلوم والثابت الذي يُذعن له كل منصف ويصدق به كلّ عاقلٍ أنّ القرآن الكريم فيه من الاعجاز العظيم ما يدل على أنه من عند الله ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣). إنّ كلام الله ﷻ ليس ككلام البشر، **فمن أوجه إعجاز القرآن الكريم:**

أولًا: ما يتضمن الإخبارَ عن الغيب وذلك مما لا يقدِرُ عليه البشرُ، ولا سبيل لهم إليه. من ذلك قوله تَعَالَىٰ:﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ (الروم: ٢ - ٥).

فظهرت الروم على فارسَ بعدما هُزموا قبل ذلك ببضع سنين.

ثانيًا: الإعجاز اللغوي فهو في أعلى طبقات البلاغةِ والفصاحة التي لا يأتي بمثلها بشرٌ ولهذا كان فيه تحدٍ لكفّار قريش. فالقرآن الكريم فيه القمَة في فصاحة الألفاظ وفي البلاغة، فتركيب الكلام والآيات وتركيب الجمل في الآية الواحدة يدل على أنه الغاية في البيان، ولا يمكن للجن والإنس لو اجتمعوا أن يكونوا دائمًا على أعلى مستوى في هذا النظم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء :٨٨).

إن بعض كفار قريش - وهو الوليدُ بنُ المغيرة - لما سمع القرآن مدحه وأثنى عليه منهم فقال: « إِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ ».

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: « يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا ». قَالَ: « لِمَ؟ ». قَالَ: « لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ ». قَالَ: « قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا ».

قَالَ: « فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ ». قَالَ: « وَمَاذَا أَقُولُ؛ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ ». قَالَ: « لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ ».

قَالَ: « فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ »، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: « هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [1]. (رواه الحاكم في المستدرك، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والألباني).

(الرجز): إنشاد الشعر، وهو بحر من بحوره عند العروضيين. (أثر الحديث): ذكَره ونقَله عن غيره. (طَلاَوة/ طُلاَوة/ طِلاَوة): حُسْن، ورَوْنق. (مُغْدِق): كثير المياه.

ثالثًا: القرآن له سلطان على النفوس، وليس هناك مِن كلام البشر ما له سلطان على النفوس في كل الكلام، ولكن القرآن له سلطان على النفوس؛ لأنه كلام الله ﷻ. وهذا القرآن سببٌ عظيمٌ جدا لتأثر كثير من الكفرة بالإسلام.

---

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر: ١١- ٣٠).

يحكي أحد الدعاة العرب أنه كان ضمن ستة من المسلمين على ظهر سفينة مصرية، تَمْخُرُ بهم عُباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم، وخطر لهم أن يقيموا صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة، وقد سمح ووافق قائد السفينة الكافر على إقامة الصلاة، وسمح لبحَّارة السفينة وطهاتها وخدمها أن يصلوا معهم - ممن لا يكون منهم في وقت العمل- وقد فرحوا بهذا فرحًا شديدًا؛ لأنها كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر هذه السفينة.

وقام هذا الداعية بخطبة الجمعة، وإقامة الصلاة، والركاب الأجانب معظمهم متحلقون يرقبون صلاتهم. وبعد الصلاة جاءهم كثيرون منهم يهنئونهم على نجاح (القُدَّاس)، فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتهم أنه (قُدَّاس)، فشرحوا لهم الحال، وأنه لا يُسَمَّى قُدَّاسًا، وإنما هي صلاة الجمعة؛ ولكن امرأة من بين ذلك الحشد عَرَفوا فيما بعد أنها أوروبية، كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالك مشاعرها، جاءت لتسألهم عن شيء معين، وهي تبدي إعجابها بما فعلوا من نظام وخشوع.

وليس هذا موضع الشاهد.

جاءت لتسأل عن شيء معين وهي تقول: « أي لغةٍ هذه التي كان يتحدث بها قِسِّيْسُكم؟ »، وهي لا تتصور أن يقيم مثل هذا إلا قِسِّيْس، فصحَّحوا لها هذا الفهم وأجابوها بأن هذا ليس قسيسًا بل إمامٌ مسلمٌ. قالت: « إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع عجيب، وإن كنت لم أفهم منها شيئًا! ».

ثم كانت المفاجأة الحقيقية لهم وهي تقول: « ولكن ليس هذا هو الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه! إن الموضوع الذي لفت انتباهي وأثَّر في حسي، وانطبع في قلبي هو: أن الإمام - بعد أن تصَحَّحَت الكلمة، وصُحِّحَت - كانت ترد في أثناء كلامه فقرات من نوعٍ آخرٍ، يختلف عن بقية كلامه، نوعٌ أكثر عمقًا، وأشد إيقاعًا في النفس، إن

هذه الفقـرات التي كان يقـولها أثناء الخطبة أحدثت في نفسي قشعريرة ورعشة، إنها شيء آخر ».

وتَفَكَّروا قليلًا، ثم أدركوا ماذا تعني، إنها تعني الآيات القرآنية التي وَرَدَت في أثناء خطبة الجمعة وأثناء الصلاة، وكانت مع ذلك مفاجأة لهم تدعو إلى الدهشة من امرأة أعجمية لا تفهم شيئًا من اللسان العربي، وتتأثر بتلك الطريقة.

رابعًا: كلما ازداد الإنسان المؤمن من القرآن ازداد حُبًّا في الله ﷻ، وهذا راجع إلى الإيمان، وراجع إلى أن القرآن فيه زيادة في الهدى والشفاء للقلوب، فالأوامر والنواهي والأخبار التي في القرآن هي هدى وشفاء لما في القلوب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾(فصلت: ٤٤). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(الإسراء: ٨٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(الأنفال: ٢).

وهذا سلطان خاص على الذين آمنوا في أنه يهديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور في المسائل العلمية وفي المسائل العملية، لهذا ما تأتي فتنة ولا اشتباه إلا وعند المؤمن البصيرة لما في هذا القرآن. فالمؤمن الذي يقرأ القرآن ويعلم حدوده ويعلم معانيه عنده النور في الفصل في المسائل العلمية والعملية، وهذه لا يُلقاها إلا أهل الإيمان.

خامسًا: هناك أشياء في القرآن أُنزلت على النبي محمد ﷺ وكان أُمِّيًّا ﷺ، ولم يظهر وجه بيانها وحجتها في كمال أطرها إلا في العصر الحاضر، وهو الذي اعتنى به طائفة من الناس وسموه الإعجاز العلمي في القرآن، والإعجاز العلمي في القرآن حق؛ لكن له مواضع توسع فيه بعضهم فخرجوا به عن المقصود إلى أن يجعلوا آيات القرآن خاضعة للنظريات، وهذا باطل؛ بل النظريات خاضعة للقرآن لأن القرآن حق من عند الله والنظريات من صنع البشر، لكن بالفهم الصحيح للقرآن هناك أشياء من الإعجاز

العلمي حق لم يكن يعلمها الصحابة رضي الله عنهم على كمال معناها وإنما علموا أصل المعنى، فظهرت في العصر الحاضر في أصول من الإعجاز العلمي.

وقد تكلم الناس في هذا العصر عن الإعجاز الاقتصادي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العَقدي، وكل واحدة منها دالة على أن هذا القُرآن من عند الله سبحانه وتعالى. قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢). وفيما يتعلق بالإعجاز العلميُ، فقد جاءت أبحاثٌ وتجاربُ عديدةٌ موافقةٌ لما نصّ عليه القرءان ومن ذلك:

١- **أثبت أهل الطِبِ أن الإحساس بألمِ الحريق محصورٌ في الجلد** لأن نهايات الاعصاب المتخصصةِ بالاحساس بالحرارة والبرودةِ محصورة بالجلد ولو ذاب الجلدُ فلن يشعر الانسانُ في الدنيا بألمِ الحريق؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٥٦).

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٢- ١٤).

أوضح عالم الأجنة كيث مور Keith L. Moore ، شكل العلقة والمضغة ومراحل الخلق المذكورة فى القران، وأضاف طبعة من كتابه الذى يدرس فى أكابر الجامعات - سماه Developing Human with Islamic Addition (تطور الإنسان بإضافة إسلامية)، والذي ترجم الي ثمان لغات.

والبروفيسور كيث مور Keith L. Moore أستاذ علم التشريح في جامعة تورنتو بكندا، وكان قد مر خلال حياته العلمية عبر جامعات عديدة منها جامعة توينابك في الغرب الكندي حيث كان هناك لمدة ١١ سنة ورأَسَ العديد من الجمعيات الدولية؛ مثل جمعية علماء التشريح والأجنة في كندا وأمريكا، ومجلس اتحاد العلوم

الحيوية. كما انتخب عضوًا في الجمعية الطبية الملكية بكندا، والأكاديمية الدولية لعلوم الخلايا، والاتحاد الأمريكي لأطباء التشريح، وفي اتحاد الأمريكتين في التشريح، وشارك في تأليف عدة كتب في مجال التشريح الأكلينكي وعلم الأجنة.

وعُرف العالم كيث مور باعتقاده أن آيات القرآن المتعلقة بعلم الأجنة تقدم دليلًا على أصله الإلهي. قال في مقالة كتبها إن إشارات القرآن إلى تكاثر الإنسان ونموه متناثرة في القرآن، وأن تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بتكون الإنسان لم يكن ممكنًا في القرن السابع للميلاد، ولا حتى منذ مائة سنة. وأكد أن ما قاله القرآن عن نمو الإنسان يجعل من الواضح أن أصله إلهي قائلًا: « **هذا يثبت لي أنه لابد أن محمدًا كان رسولًا من عند الله** » (١).

وفي المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالرياض، وبسبب هذه الآية، نطق بالشهادتين البروفسور تاجاتات تاجاسون، رئيس قسم التشريح والأجنة في جامعة شاينج ماي بتايلاند.

قال الشيخ عبد المجيد الزنداني: « بدأت صِلَتُنا بالبروفيسور تاجات تاجاسون عندما عرضْنَا عليه بعض الآيات والأحاديث النبوية المتعلقة بمجال تخصصه في مجال علم التشريح و قدمْنَا له محاضرة مكتوبة للدكتور (كيث مور) وكان عنوان المحاضرة "مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة" وسألناه عددًا من الأسئلة في مجال تخصصه كان منها ما يتعلق بالجلد.

وبعد الحوار قال البروفيسور تاجاتات تاجاسون: « في السنوات الثلاث الأخيرة أصبحت مهتمًّا بترجمة معاني القرآن الكريم الذي أعطاه لي الشيخ عبدالمجيد

---

(١) راجع في ذلك مقال: Western Scholars Play Key Role In Touting 'Science' of the Quran العلماء الغربيون يلعبون دورًا هامًا في الترويج لـ"علوم" القرآن، لدانييل جولدن، والذي نُشِر بجريدة وول ستريت جورنال الأمريكية The Wall Street Journal بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠٠٢.

الزنداني في العام الماضي، ومحاضرات البروفيسور كيث مور التي طلب مني الشيخ الزنداني أن أترجمها إلى اللغة التايلاندية وأن ألقي فيها بعض المحاضرات للمسلمين الذي أعطيته في دراساتي.

فإنني أؤمن أن كل شيء ذكر في القرآن منذ ١٤٠٠ سنة لا بد أن يكون صحيحًا، ويمكن إثباته بالوسائل العلمية، وحيث إن النبي ﷺ لم يكن يستطيع القراءة والكتابة فلا بد أن محمدًا ﷺ رسول جاء بهذه الحقيقة، لقد بُعِثَ هذا عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء، هذا الخالق لا بد أن يكون هو الله، ولذلك فإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ».

٣- الظلمات الثلاث:

أثبت علم الأجنة أن الجنينَ يُحفظُ في بطن أمه من وصول النور إليه بواسطة أغشية ثلاثةٍ وتُشكِلُ هذه الأغشيةُ الثلاثةُ ثلاث طبقاتٍ مظلمة تمنعُ وصول النور الى الجنينً. هذه الأغشية عُرفت بواسطة أجهزة مِخبريةٍ متطورة، وهذه الأجهزة لم تكن في زمن النبي محمد ﷺ، ولا حتى قبل مائة عام لم تكن هذه الاشياءُ معروفةً وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (الزمر: ٦).

فهناك ما يسمى بالخلايا المغذية التي تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل، ثم يتشكل منها ملحقات الجنين والتي منها:

هذه الأغشية الثلاثة التي تحيط ببعضها وهي من الداخل إلى الخارج.

- الغشاء الأمنوسي Amniotic membrane : وهو يحيط بالجوف الأمنوسي المملوء بالسائل الأمنوسي، الذي يسبح فيه الجنين بشكل حر.
- الغشاء الكوريوني Chorionec membrane : الذي تصدر عنه الزغابات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم.

- الغشاء الساقط Disidua memb: وهو عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو محصول الحمل، وسمي بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة.

٤- البرزخ المائي بين البحرين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:١٩-٢٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ (النمل:٦١).

لقد توصل علماء البحار بعد تقدم العلوم في هذا العصر، إلى اكتشاف الحاجز بين البحرين، فوجدوا أن هناك برزخًا يفصل بين كل بحرين، ويتحرك بينهما ويسميه علماء البحار الجبهة تشبيهًا له بالجبهة التي تفصل بين جيشين.

وبوجود هذا البرزخ يحافظ كل بحر على خصائصه التي قدرها الله ﷻ له، ويكون مناسبًا لما فيه من كائنات حية تعيش في تلك البيئة. ومع وجود هذا البرزخ فإن البحرين المتجاورين يختلطان اختلاطًا بطيئًا، يجعل القدر الذي يعبر من بحر إلى بحر آخر يكتسب خصائص البحر الذي ينتقل إليه عن طريق البرزخ الذي يقوم بعملية التقليب للمياة العابرة من بحرٍ إلى بحر؛ ليبقى كل بحرٍ محافظًا على خصائصه.

تدرُّج العلم البشري لمعرفة حقائق اختلاف مياه البحار وما بينها من حواجز:

اكتشف علماء البحار أن هناك اختلافًا بين عينات مائية أخذت من البحار المختلفة في عام ١٢٨٤هـ - ١٨٧٣م على يد البعثة العلمية البحرية الإنجليزية في رحلة (تشالنجر)، فعرف الإنسان أن المياه في البحار تختلف في تركيبها عن بعضها البعض من حيث درجة الملوحة، ودرجة الحرارة، ومقادير الكثافة، وأنواع الأحياء المائية، ولقد كان اكتشاف هذه المعلومة بعد رحلة علمية استمرت ثلاثة أعوام، جابت جميع بحار العالم. وقد جمعت الرحلة معلومات من ٣٦٢ محطة مخصصة لدراسة خصائص المحيطات. وملئت تقارير الرحلة ٢٩,٥٠٠ صفحة في خمسين مجلدًا استغرق إكمالها ٢٣ عامًا.

وبالإضافة إلى كَوْن الرحلة أحد أعظم منجزات الاستكشاف العلمي فإنها قد أظهرت كذلك ضآلة ما كان يعرفه الإنسان عن البحر.

وبعد عام ١٩٣٣م قامت رحلة علمية أمريكية في خليج المكسيك، ونشرت مئات المحطات البحرية، لدراسة خصائص البحار، فوجدت أن عددًا كبيرًا من هذه المحطات تعطي معلومات موحدة عن خصائص الماء في تلك المنطقة، من حيث الملوحة والكثافة والحرارة والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين في الماء، بينما أعطت بقية المحطات معلومات موحدة أخرى عن مناطق أخرى، مما جعل علماء البحار يستنبطون وجود بحرين متمايزين في الصفات لا مجرد عينات محدودة كما علم من رحلة تشالنجر.

وأقام الإنسان مئات المحطات البحرية لدراسة خصائص البحار المختلفة، فقرر العلماء أن الاختلاف في هذه الخصائص يميز مياه البحار المختلفة بعضها عن بعض، لكن لماذا لا تمتزج البحار وتتجانس رغم تأثير قوتي المد والجزر التي تحرك مياه البحار مرتين كل يوم، وتجعل البحار في حالة ذهاب وإياب، واختلاط واضطراب، إلى جانب العوامل الأخرى التي تجعل مياه البحر متحركة مضطربة على الدوام مثل الموجات السطحية والداخلية والتيارات المائية والبحرية؟

ولأول مرة يظهر الجواب على صفحات الكتب العلمية في عام١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م. فقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن اكتشاف حواجز مائية تفصل بين البحار الملتقية، وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة، والأحياء المائية، والحرارة، وقابلية ذوبان الأوكسجين في الماء. وبعد عام ١٩٦٢م عرف دور الحواجز البحرية في تهذيب خصائص الكتل العابرة من بحر إلى بحر لمنع طغيان أحد البحرين على الآخر فيحدث الاختلاط بين البحار الملحة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحدودة بوجود تلك الحواجز.

وأخيرًا تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار الملحة عن طريق تقنية خاصة بالتصوير الحراري بواسطة الأقمار الصناعية، والتي تبين

أن مياه البحار وإن بدت جسمًا واحدًا، إلا أن هناك فروقًا كبيرة بين الكتل المائية للبحار المختلفة، تظهر بألوان مختلفة تبعًا لاختلافها في درجة الحرارة.

وفي دراسة ميدانية للمقارنة بين مياه خليج عُمان والخليج العربي بالأرقام والحسابات والتحليل الكيمائي، تَبَيَّن اختلاف كل منهما عن الآخر من الناحية الكيميائية والنباتات السائدة في كل منهما ووجود البرزخ الحاجز بينهما.

وقد تطلب الوصول إلى حقيقة وجود الحواجز بين الكتل البحرية، وعملها في حفظ خصائص كل بحر قرابة مائة عام من البحث والدراسة، اشترك فيها المئات من الباحثين، واستخدم فيها الكثير من الأجهزة ووسائل البحث العلمي الدقيقة. بينما جلى القرآن الكريم هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرنًا.

أوجه الإعجاز في الآيات السابقة : مما سبق يتبين :

أ- أن القرآن الكريم الذي أنزل قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة قد تضمن معلومات دقيقة عن ظواهر بحرية لم تكتشف إلا حديثًا بواسطة الأجهزة المتطورة، ومن هذه المعلومات وجود حواجز مائية بين البحار، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ (الرحمن: ١٩- ٢٠).

ب- يشهد التطور التاريخي في سير علوم البحار بعدم وجود معلومات دقيقة عن البحار وبخاصة قبل رحلة تشالنجر عام ١٨٧٣م فضلًا عن وقت نزول القرآن قبل ألف وأربعمائة سنة، والذي نزل على نبيٍ أمي عاش في بيئة صحراوية ولم يركب البحر.

جـ- كما أن علوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين. وقبل ذلك كان البحر مجهولًا مخيفًا تكثر عنه الأساطير والخرافات، وكل ما يهتم به راكبوه هو السلامة والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة، وما عرف الإنسان أن البحار الملحة بحار مختلفة إلا في الثلاثينات من القرن العشرين، بعد أن أقام الدارسون آلاف المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار، وقاسوا في كل منها الفروق في درجات الحرارة، ونسبة الملوحة، ومقدار

الكثافة، ومقدار ذوبان الأوكسجين في مياه البحار في كل المحطات فأدركوا بعد ذلك أن البحار الملحة متنوعة.

د- وما عرف الإنسان البرزخ الذي يفصل بين البحار الملحة، إلا بعد أن أقام محطات الدراسة البحرية المشار إليها، وبعد أن قضى وقتًا طويلًا في تتبع وجود هذه البرازخ المتعرجة المتحركة، التي تتغير في موقعها الجغرافي بتغير فصول العام.

هـ- وما عرف الإنسان أن مائي البحرين منفصلان عن بعضهما بالحاجز المائي، ومختلطان في نفس الوقت إلا بعد أن عكف يدرس بأجهزته وسفنه حركة المياه في مناطق الالتقاء بين البحار، وقام بتحليل تلك الكتل المائية في تلك المناطق.

و- وما قرر الإنسان هذه القاعدة على كل البحار التي تلتقي إلا بعد استقصاء ومسح علمي واسع لهذه الظاهرة التي تحدث بين كل بحرين في كل بحار الأرض.

- فهل كان يملك رسول الله ﷺ تلك المحطات البحرية، وأجهزة تحليل كتل المياه، والقدرة على تتبع حركة الكتل المائية المتنوعة؟
- وهل قام بعملية مسح شاملة، وهو الذي لم يركب البحر قط، وعاش في زمن كانت الأساطير هي الغالبة على تفكير الإنسان وخاصة في ميدان البحار؟
- وهل تيسر لرسول الله ﷺ في زمنه من أبحاث وآلات ودراسات ما تيسر لعلماء البحار في عصرنا الذين اكتشفوا تلك الأسرار بالبحث والدراسة؟
- إن هذا العلم الذي نزل به القرآن يتضمن وصفًا لأدق الأسرار في زمنٍ يستحيل على البشر فيه معرفتها، وهذا يدلُ على مصدره الإلهي، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦).

- كما يدل على أن الذي أنزل عليه الكتاب رسول يوحى إليه وصدق الله القائل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣).

٥- أمواج البحر اللجي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (النور: ٣٩- ٤٠).

هذان مثلان، ضربهما الله ﷻ لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ بربهم وكذبوا رسله ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ أي: بقاع، لا شجر فيه ولا نبت.

﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حسبان باطل، فيقصده ليزيل ظمأه، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ فندم ندما شديدا، وازداد ما به من الظمأ، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، تُرى ويظنها الجاهل الذي لا يدري الأمور، أعمالًا نافعة، فيغره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضًا أعمالا نافعة لهواه، وهو أيضا محتاج إليها بل مضطر إليها، كاحتياج الظمآن للماء، حتى إذ قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئًا.

والحال إنه لم يذهب، لا له ولا عليه، بل ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ ﴾ لم يخف عليه من عمله نقير ولا قطمير، ولن يعدم منه قليلا ولا كثيرا، ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ فلا يستبطئ الجاهلون ذلك الوعد، فإنه لا بد من إتيانه، ومثَّلها الله بالسراب

الذي بقيعة، أي: لا شجر فيه ولا نبات، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع، وهو الكفر.

والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾بعيد قعره، طويل مداه ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جدًّا، بحيث أن الكائن في تلك الحال ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾مع قُربها إليه، فكيف بغيرها.

كذلك الكفار، تراكمت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون.

وهذا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطاها مولاها، ومنحها ربها. يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبوعين، والثاني، للتابعين.

ظلمات البحار:

ظلمات البحار مكان كان يستحيل لأي إنسان في زمن النبي محمد ﷺ أن يصل إليها أبدًا، لأن الإنسان لا يحتمل جسمه أن يغوص في الماء سوى إلى ٣٠ متر، ومن المستحيل أن يصل الإنسان بجسمه إلى عمق ١٠٠ متر أو ٢٠٠ متر، كما فى هذا الأمر، لقد أخبرنا القرآن عن ظاهرة يبدأ ظهورها بعد ٢٠٠ متر، وبالطبع النبي ﷺ ما ركب بحرًا أصلًا.

ومجتمع النبي ﷺ هو مجتمع صحراوي، فيخبرنا القرآن عن ظلمات توجد في أعماق البحار، في البحار العميقة وليست البحار السطحية، ولم تكتشف هذه الظلمات ولم تكتشف أسبابها إلا برحلة طويلة جدًا من البحث العلمي حتى تكاملت الاكتشافات فتقدمت الصورة فوجد علماء البحار أن هناك ظلامًا شديدًا على بعد ٣٠٠ متر – ٥٠٠ متر، ويشتد كلما نزَلْنا إلى أسفل لدرجة أن الغواصة إذا نزلت لابد أن يكون معها آلات إنارة، بل والأسماك التي تعيش في هذه المناطق لابد أن يكون لها كشاف تحت كل عين من عيونها تكشف لها كشافات، أو تكون عمياء لأنه ليس هناك ضوء، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ (النور : ٤٠) يُشَبّه الظلمات التي يعيش فيها الكافر بظلمات في بحر عميق، انظر كيف قال ﴿ بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ ولم يقل أي بحر ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ أي عميق ﴿ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾ يغشاه يعني يغطيه.

كيف يغطيه وفوقه موج؟ الظاهر أن الموج هو الغطاء، وهذا يدل على وجود بحر ثانٍ فيه موج، وعندئذ نعرف من هذا الوصف القرآني أن هناك بحر عميق وبحر سطحي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ البحر اللجي ﴿ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ﴾ يعني يغطيه موج ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾ يعني فوقه البحر السطحي وفيه موج ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ (النور : ٤٠)

أسباب هذه الظلمات في أعماق البحار ترجع إلى سببين رئيسين:

الأول: العمق لأن الشعاع الضوئي يتكون من سبعة ألوان، والألوان عندما تخترق الماء لا تخترقه بقوة واحدة بحسب اختلاف طول الموجة، ولذلك يمتص اللون الأحمر على مسافة العشرين متر الأولى، بعدها لو أن غواصًا يغوص وجرح وخرج منه دم وأراد أن يرى الدم لا يراه باللون الأحمر بل يراه باللون الأسود، لماذا؟

لأن اللون الأحمر انعدم فأصبحت هناك ظلمة اللون الأحمر، ثم بعد ذلك يمتص اللون البرتقالي على مسافة ٣٠ متر، ثم يمتص اللون الأصفر على مسافة ٥٠ متر،

ثم يمتص اللون الأخضر على مسافة ١٠٠ متر، وهكذا بقية الألوان السبعة، آخر لون يمتص الأزرق ولذلك نرى البحر أزرقًا لأنه آخر شعاع يمتص، وبعد هذا العمق نصل إلى ٢٠٠ متر، ثم نصل إلى منطقة الظلام الشديد، هذه الظلمات ظلمات بعضها فوق بعض.

السبب الثاني: ظلمات الحواجز فالموج الداخلي الذي يغطي البحر العميق هذا لم يكتشفه البحارة الاسكندنافيون إلا عام ١٩٠٠ ميلادية، متى اكتشفوه؟ سنة١٩٠٠ ميلادية، لم يتمكن الإنسان من أن يعرف الظلمات إلا بعد عام ١٩٣٣ ميلادية لما بدأ صناعة الغواصات، فالموج الداخلي، والموج السطحي،والسحاب، كلها حواجز تمنع مرور الشعاع الضوئي إلى أسفل، فإذا وقفت على شاطئ البحر فسترى الأمواج تنعكس منها الأشعة إلى عينيك وكأنها مرآة، تعكس هذا، وهذا يدلك على مقدار ما عكست الأمواج من الأشعة، فأحدثت ظلمة، والموج الداخلي يعكس معظم ما بقي من أشعة، ولذلك يأتي بعد الموج الداخلي المنحدر الحراري، انحدار واسع في درجة حرارة الماء.

إذن هذه الظلمات موجودة، وسببها الأعماق، والحواجز، وتركيبها بعضها فوق بعض، انظر إلى هذا الوصف القرآني ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ فنسب الظلمات إلى عمق البحر ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌ ﴾ ظلمات مرة ثانية جاء ذكرها بعد ذكر الحواجز، فكأنه يقول لنا: هذه الظلمات سببها الأعماق وسببها الحواجز، ثم يستعمل لفظ ﴿ ظُلُمَٰتٌ ﴾الذي هو من جموع القلة وجموع القلة من ثلاثة إلى عشرة، فأنت تقول ظلمة وظلمتان وثلاث.

هنا إشارة إلى عشر ظلمات.

فالآية تكلمنا ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ فهي جموع القلة من ثلاثة إلى عشرة، سبعة للألوان وثلاثة للحواجز، ثم يستعمل لفظًا آخر فعل المقاربة قال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ

يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾.

﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ كاد من أفعال المقاربة ونفيها يعني نفي وقوع الفعل ألبتة أو مقاربة النفي، والمفسرون قالوا: هذا له معنيان. قالوا: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾أي يراها بصعوبة وآخرون قالوا: لا يراها ألبتة، فاستعمل هذا التعبير الذي يدل على المعنيين، وهذا ما يحدث في البحر ففي الطبقات التي مازال فيها شيء من ضوء لا ترى يدك إلا بصعوبة لكن إذا نظرت لأسفل لا تراها أبدًا.

هذه الآيات قيلت للاستشهاد على حال الكافر الذي لا يرى أنوار الهداية، فحاله ظلمات بعضها فوق بعض، إذن فقلب الكافر لا يعرف مَن خلقه، لا يعرف لماذا خُلِق، لا يعرف لماذا يموت، لا يعرف ما الحق الذي يجب أن يفعله، ولا الباطل الذي يجب أن يجتنبه، ظلمات تراكمت فشبهها بحال تلك الظلمات.

٦- تحريم الوطء في الحيض:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة :٢٢٢).

عَنْ أَنَسٍ بن مالك ﷺ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« **اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ** ». (رواه مسلم).

أذى المحيض :

- يقذف الغشاء المبطن للرحم أثناء الحيض وبفحص دم الحيض تحت المجهر نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعًا من الغشاء المبطن للرحم. ويكون الرحم متقرحًا نتيجة لذلك. فهو

معرض للعدوى البكتيرية. ومن المعلوم طبيًا أن الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموها وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيب يشكل خطرًا داهمًا على الرحم.

- ومما يزيد الطينَ بلةً أن مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض؛ إذ يقل إفراز المهبل الحامض الذي يقتل الميكروبات ويصبح الإفراز أقل حموضة إن لم يكن قلوي التفاعل.
- كما تقل المواد المطهرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها، ليس ذلك فحسب ولكن جدار المهبل الذي يتألف من عدة طبقات يقل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها.
- يمتد الالتهاب إلى قناة الحيض إلى أدنى مستوى لها.
- يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول فالكُلى.
- يصاحب الحيض آلام شديدة.
- تصاب كثير من النساء أثناء الحيض بحالة كآبة وضيق كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى درجاتها أثناء الحيض لذلك نهى رسول الله ﷺ عن تطليق النساء أثناء الحيض.
- تصاب بعض النساء بصداع نصفي قرب بداية الحيض وآلام مبرحة.
- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة أثناء الحيض.
- يسبب الحيض فقر دم للمرأة.
- تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض درجة مئوية واحدة.
- تزيد شراسة الميكروبات أثناء الحيض وخاصة ميكروبات السيلان.
- تصاب الغدد بالتغير فتقل أفرازاتها.

- يُبْطىء النبض وينخفض ضغط الدم فيسبب الشعور بالدوخة والفتور والكسل
- لا يتم الحمل أثناء الحيض.
- لا يقتصر الأذى على الحائض بل ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطئها أيضًا.
- ظهر بحث حديث قدمه البروفسور (عبد الله باسلامة) إلى المؤتمر الطبي السعودي جاء فيه: أن الجماع أثناء الحيض قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم ويحتاج الأمر إلى مزيد من الدراسة.
- وتنتقل الميكروبات من قناة الرحم إلى مجرى البول البروستات والمثانة.
- والتهاب البروستات سرعان ما يزمن لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة والتي نادرًا ما يتمكن الدواء بكمية كافية من قتل الميكروبات المختفية في تلافيفها. فإذا ما أزمن التهاب البروستاتا فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ثم إلى الكلى، وهو العذاب المستمر حتى نهاية الأجل.
- وقد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصيتين، وقد يسبب ذلك عقمًا بسبب انسداد قناة المني.

٧- كأنما يصَّعَّد في السماء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

تقدم هذه الآية الكريمة معجزة من وجوه عدة، وهي تعرض حقيقة علمية ثابتة بأسلوب بلاغي دقيق، ومن وجوه هذا الإعجاز:

أ- صعود الإنسان في السماء، فيوم أن سمع الناس بهذه الآية اعتبروا الصعود في السماء ضربًا من الخيال، وأن القرآن إنما قصد الصعود مجازًا لا حقيقةً، والواقع أن هذه الآية تعتبر نبوءة تحققت، في حياة الناس فيما بعد.

ب- صحة التشبيه: فالارتفاع في الجو لمسافة عالية يسبب ضيقًا في التنفس وشعورًا بالاختناق يزيد كلما زاد الارتفاع ﴿ يَصَّعَّدُ ﴾، حتى يصل الضيق إلى درجةٍ حرجةٍ وصعبة جدًا أما سبب ضيق التنفس فيعود لسببين رئيسين هما:

- انخفاض نسبة الأوكسجين في الارتفاعات العالية، فهي تعادل ٢١٪ تقريبًا من الهواء فوق سطح الأرض، وتنعدم نهائيًّا في علو ٦٧ ميلًا، ويبلغ توتر الأوكسجين في الاسناخ الرئوية عند سطح البحر ١٠٠ مم، ولا يزيد عن ٢٥ مم في ارتفاع ٨٠٠٠ متر حيث يفقد الإنسان وعيه بعد ٢- ٣ دقائق ثم يموت.
- انخفاض الضغط الجوي: إن أول من اكتشف الضغط الجوي، هو العالم تورشيلي وقدّره بما يعادل ضغط عمود من الهواء المحيط بالأرض على سطح ١سم مكعب منها وهو يساوي ضغط عمود من الزئبق طوله ٦٧ سم، وينخفض هذا الضغط كلما ارتفعنا عن سطح الأرض؛ مما يؤدي لنقص معدل مرور غازات المعدة والأمعاء، التي تدفع الحجاب الحاجز للأعلى فيضغط على الرئتين ويعيق تمددها، وكل ذلك يؤدي لصعوبة في التنفس، وضيق يزداد حرجًا كلما صعد الإنسان عاليًا، ويحصل نزف من الأنف أو الفم تؤدي أيضًا للوفاة.

لقد أدى الجهل بهذه الحقيقة العلمية الهامة التي أشار إليها القرآن، إلى حدوث ضحايا كثيرة خلال تجارب الصعود إلى الجو سواء بالبالونات أو الطائرات البدائية، أما الطائرات الحديثة فأصبحت تجهز بأجهزة لضبط الضغط الجوي والأوكسجين.

موقف يدل على نبوة
وصدق الصادق الأمين محمد بن عبد اللّه ﷺ

عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: « انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ - أحد أبناء النبي ﷺ - فَقَالَ النَّاسُ: « انْكَسَفَتْ لِـمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ »، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ** ». (رواه البخاري).

وفي صحيح مسلم: « **وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُرِيكُمُوهُمَا، فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ** ».

فلو أن ساحرًا أو كذابًا أو مشعوذًا حدَث معه هذا الموقف لَاستغَلَّ جهل الناس بهذه الظاهرة، واعتبر الكسوف دليلًا على صدقه، فقد كانوا يعتقدون أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وظنوا أن الشمسَ قد انْكَسَفَتْ لِـمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، ولكن المعصوم ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فلم يفعل ذلك.

قارن هذا الموقف من المعصوم ﷺ بموقف الرحالة الإيطالي (كريستوفر كولومبوس) [1] من خُسُوف القَمَر حيث استغل جهل الناس بظاهرة الكسوف للخروج من أزمتة أثناء رحلته الخامسة تجاه العالم الجديد.

في ٢٩ فبراير، عام ١٥٠٤، وبعد بلوغه جامايكا في ظل ظروف قاسية، تمرد نصف فريقه، وقُتِل بعض السكان الاصليين، وسُرِق المخزون من الطعام، مما أدى إلى نقصٍ شديدٍ في المواد الغذائية.

---

(١) يعتقد طائفة من العلماء أن هناك من سبق كولمبوس في اكتشاف العالم الجديد، ويعودون في ذلك إلى مخطوطات كتبها كولمبوس بنفسه يؤكد فيها وجود آثار أفريقية عند وصوله لأمريكا، مما يدعم قولا تاريخيًّا بأن أبا بكر الثاني الذي حكم إمبراطورية مالي هو الذي اكتشف أمريكا قبل كولمبوس بمائتي عام.

وخوفًا من اشتداد أزمة الاضطرابات بين بحارة سفنه طلب (كريستوفر كولومبوس) من أهالي تلك الجزر مساعدته ببعض المواد الغذائية التي لديهم مثل الحبوب وغيرها إلا أن الأهالي وخصوصا أنهم يشاهدون المرة الأولى مثل هذه السفن وبحارتها رفضوا بشدة إعطاءه أي شيء.

هنا استغل (كريستوفر كولوموس) جهل الأهالي بظاهرة الكسوف وقبل حدوث ظاهرة خسوف القمر بثلاثة أيام، هددهم **أن الرب المسيحي سيعطي علامة سماوية تعبر عن غضبه**، وهي اختفاء القمر عن جزيرتهم وأنهم سوف يعيشون في ظلام دائم أثناء لياليهم ... إلخ.

وكان (كولومبس) ينتظر خسوف القمر في تلك الليلة بحسب معلوماته وحساباته الفلكية وفعلا بدأ القمر يختفي من سمائهم شيئًا فشيئًا وبدأ الأهالي يعيشون في خوف ورعب لأنهم لم يصدقوا في البداية قوله وتهديده، فأسرعوا إليه طالبين منه إرجاع القمر وقد حملوا ما عندهم من مواد غذائية إلى سفنه، فوعدهم بِرَدِّ القمر بعد بضع ساعات أو أقل من ذلك، وهو قد كان يعرف مسبقًا الفترة التي يغيب فيها القمر عند الخسوف.

انتظر أهالي الجزيرة وهم في وجل ورعب حتى بدأ القمر يظهر في السماء شيئًا فشيئًا وأخذوا يرقصون ويغنون بطرقهم الخاصة ويشكرون كولومبس لإرجاع قمرهم.

كيف نواجه الإلحاد

إن الناظر إلى تلاطم أمواج الإلحاد، وتطاير شرر القاذورات الفكرية التي يتقيؤها الملاحدة في أذهان ناشئة الأمة ليؤكد ضرورة حياتية دينية تقول: إنه ينبغي أن تقام في الناس حملات لا لدفع هذا العفن الفكري فحسب؛ بل حملات لتصوير حجم ضرر الفواحش الفكرية حتى ينظر إليها الناس بما يليق بها.

إن القرآن قد أخْرسَ دعاة الإلحاد بما لا قِبَلَ لهم به من البراهين، فليعلم أقزام الإلحاد العصريون والذين في قلوبهم مرض أنهم يتجشؤون اليوم تلك الشبه المحجوجة، وأنهم ما جاؤوا بجديد، وليستيقن المؤمنون والمؤمنات وليعلموا أن ربنا ما فرط في الكتاب من شيء؛ وأن الله وحزبه هم الغالبون. فلا ينبغي للمؤمن أن تتزعزع عقيدته بهذا التشكيك الباطل، بل إن له حالين لا ثالث لهما:

الأول: أن يُعْرِض عن الجدال وإثبات وجود الله إذا علم من نفسه القصور، أو خشي عليها الفتنة، وهو مأجور على هذا الإعراض والمفارقة، وهذا الإعراض مأمور به صراحة في محكم القرآن كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾(الأنعام: ٦٨ – ٩٥).

وليضع نصب عينيه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (الرعد: ٣٠). وقوله تعالى:﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٠).

الثاني: أن يملك القدرة على النقاش والمحاجة والإثبات، ويعلم من نفسه القدرة على إلجاء الخصم للحق أو كفاية الناس شر إلحاده؛ فهذا الأوْلَى له المفارقة والترْك، وقد يتعين عليه الجدال بحسب الحال القائمة ومكانة الشخص وأثره في الناس.

فأول خطوات مواجهة هذا العفن الإلحادي الفكري الغاشم هو زرع هذا الحكم الشرعي المهم، وهو حرمة مطالعة مقالات الملحدين أو المتلاحدين ونشرها وتداولها. وهذا الإعراض يتحقق في واقعنا بكف العين واليد عن مواقعهم ومنتدياتهم ونشر أباطيلهم؛ وكف اللسان أيضًا عن ترديدها، وكف الأذن عن التسامع بها تحت أي ذريعة كانت.

ووجوب الإعراض والتصامم والتعامي عن شبهات أهل الباطل إنما هو ديانة ندين لله بها خوفًا مما تفضي إليه، ويكفينا في ذلك قول الله تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(النساء: ١٤٠).

يقول شيخ المفسرين الإمام الطبري ﵀: «وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم »[(١)].

وثاني خطوات مواجهة هذا الإلحاد العصري العفن أن نعود إلى كتاب الله تعالى؛ لنجد من يبث اليوم سمومه وإلحاده مرددا لأقاويل سلفه من سفلة جند إبليس، ولكن بصوت أعلى وأقبح وأنكر؛ لنستيقن أن لا سكينة ولا يقين ولا حق إلا والقرآن والسنة مصدراه.

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٢١).

السياج الذي أقامه علماء الإسلام:

لقد تنبه علماء الإسلام لخطورة مخالطة أهل الضلال الذين يُفسدون قلوب ناشئة المسلمين، فلهذا جعلوا بينهم وبينهم سياجًا واقيًا استنبطوه من النصوص الشرعية، يتضمن النهي عن مخالطة أهل البدع والانحراف والبعد عن شبهاتهم وإنتاجهم؛ خشيةَ أن يعْلق شيء منها بقلب ضعيف فيتأثر به ويتشربه، فأعادوا وأكثروا حول هذا الموضوع في مصنفاتهم ومروياتهم نصحًا لأبناء المسلمين، فلا تكاد تجد مؤلفًا في العقيدة السلفية إلا ويتضمن فصولًا أو أبوابًا في التحذير من أهل الزيغ والتنفير منهم ومن مسلكهم وإعراضهم عن الكتاب والسنة إلى زبالات البشر.

فعلماء السلف - رحمهم الله - نظروا إلى العلوم بهذه القسمة:

١ - العلم الشرعي النافع؛ وهو علم الكتاب والسنة وما تفرع عنهما. وهو ماوردت النصوص بمدحه ومدح أهله، وذكر أجره العظيم لمن خلصت نيته.

٢- العلم (الدنيوي) المباح النافع؛ كعلوم الزراعة والهندسة والصناعة ونحوها. وهذا العلم كلأ مباح لأهل الأرض كلهم، هم شركاء فيه، ومن بذل أسبابه حصله.

٣- العلم الضار؛ وهو الذي لا نفع فيه في الدنيا ولا في الآخرة، بل سيكون وبالًا على صاحبه، وإن توهم البعض من المخدوعين خلاف ذلك؛ كالسحر والتنجيم وعلم الكلام والفلسفة ونحوها. ومثله في زماننا: الكتابات الفكرية المنابذة للنصوص الشرعية.

أسُسُ الفِكْرِ المادِّي الإلحَادي

مَنطِــقُ المُلحِدِينْ　　مَنطِــقٌ مُبْتَــكَرْ
مِن عُـواءِ الكلابْ　　أو قُرُونِ البقَــرْ
فاسْخَرِي يَا عُقُولْ　　واهْزَؤُوا يا بَشَرْ

مَثَلُ المادّيين والملحدين عامّة وما ارْتَدَوْه من مصطلحات لفظية أسماءً لمذاهبهم التي افترقت عناوينها انسجامًا مع حدود المواقع التي وقفت عندها من المادة، كمثل مجموعة من التائهين في الفيافي، وصلوا إلى مدينة عظيمة ذات سور محيط بها، ولهذا السور أبواب.

وتفرّق هؤلاء حول سور المدينة، ولم يرد أحدٌ منهم أن يدخل بابًا من أبوابها، ليشاهد داخل المدينة، بل وقف عند حدود منزله الذي نزله حول السور.

واتفق الجميع على أن المدينة هي ما يشاهدون من سورها الخارجي فقط، وأنه ليس داخل السور شيء مطلقًا، أو ليس داخل السور شيء ذو قيمة، وكل ما يُدَّعَى داخل السور إنما هو من صناعة الأوهام.

ولم يسمح واحد من هؤلاء لنفسه بأن ينظر في منظار كاشف لبعض ما في باطن السور، أو أن يرتقي سُلَّمًا أو شجرةً أو برجًا ليرى شيئًا مما هو في باطن السور، ولا أن ينظر في ثقب في السور ينفذ إلى الداخل، فيطّلع على أي شيءٍ موجود فيه.

فالذين وقفوا عند حقل القرنفل الكائن ظاهر الجانب الغربي من السور، وأخذوا يفسرون المدينة من خلال دراسة الموقع الذي هم فيه أسموا أنفسهم "القرنفلية".

والذين وقفوا عند حقل الشعير الكائن ظاهر الجانب الشرقي من السور، وأخذوا يفسرون المدينة من خلال دراسة الموقع الذي هم فيه أسموا أنفسهم "الشعيرية".

والذين وقفوا عند بركة الطحالب الكائنة ظاهر الجانب الشمالي للسور، وأخذوا يفسرون المدينة من خلال الموقع الذي هم فيه، أسموا أنفسهم " الطحالبية ".

والذين وقفوا عند شجرات الزيزفون الكائنة ظاهر الجانب الجنوبي للسور، وأخذوا يفسرون المدينة من خلال الموقع الذي هم فيه، أسموا أنفسهم " الزيزفونية ".

وكلٌّ من اتخذ موقعًا له صفة متميزة جعل لنفسه اسمًا مشتقًا من هذه الصفة.

مع أنهم جميعًا مشتركون في مذهب واحد هو رفض الدخول إلى المدينة، ورفض البحث عن حقيقتها من داخلها، وإنكار ما رفضوا البحث عنه، ومشتركون جميعًا في الإصرار على الوقوف عند السور الخارجي، ولكن منهم من صغر موقعه، ومنهم من وسعه، ومنهم من جعله لمحيط السور كله.

كذلك المادية والماديون، والإلحاد والملحدون بوجه عام، وما اتخذوه لأنفسهم من أسماء ومصطلحات ومذاهب فلسفية.

مزاعم المادية في أفكارها الرئيسيّة:

يمكن تلخيص الفكر المادي بالمزاعم التالية التي زعمها الماديون، وحاولوا أن يقرروها، ويصطنعوا لها فلسفات، ويؤيدوها بما يستطيعون من سفسطات ومغالطات وتمويهات وإيهامات وتشكيكات بآراء المخالفين.

أولًا: تزعم المادية أن الوجود كله منحصرٌ في الكون المادي الخاضع للإدراك الحسي، ولو عن طريق الوسائل المادية المكبرة للدقائق الصغيرة. أو عن طريق ما يتوصل إليه الاستنتاج الفكري من أصل للمادّة، أو قوانين لها، ويلجؤون إلى قبول ذلك اضطرارًا حينما تلزمهم الأدلة العلميةُ به.

وحينما يقرر علماء البحث الكوني أن المادة طاقة تشكلت بوضع خاصّ فصارت مادة، فإن الملاحدة الماديين يقولون: وماذا في الأمر؟ إن ما نقوله بالنسبة إلى المادة قد انتقل إلى الطاقة التي هي أصل المادة.

ثانيًا: وتزعم المادية أن المادة الأولى للكون مادةٌ عديمة الحياة، عديمة الإدراك، عديمة الفكر، عديمة الإحساس، وأنها بالتطور الذاتي ارتقت صفاتها حتى وصل الكون إلى ما هو عليه الآن.

ثالثًا: وتزعم المادية أن المادة الأولى للكون أزلية، فهي إذن أبدية، وحين تدمغهم أدلة حدوث الكون يقولون: لا نعرف كيف وجد الكون، كما لا يعرف المؤمنون بالله كيف وُجد الخالق، ويقيسون هنا قياسًا فاسدًا، إذ يقيسون الأزلي الذي لا بُدَّ من وجوده عقلًا، ووجوده هو الأصل، على الحادث المسبوق بالعدم، والذي لا يصح وجوده عقلًا ما لم يوجده الأزلي.

ويقول الماديون: لا توجد علة للكون، والطبيعة بنظامها التام خرجت من العماء الصرف، أي: من العدم الكلي، ويلتزمون بهذا الادعاء قبول المستحيل العقلي البدهي الاستحالة.

فإذا سألتَ الماديين: كيف يُنتج العماءُ الصِّرْفُ أو العدمُ الكُليُّ شيئًا موجودًا له صفات وخصائص وأوزان وحجوم وطاقاتٌ وقوى؟ قالوا: لا ندري، لكن الأمر هكذا.

وإذا سألتهم: كيف يُنتج العماءُ الصِّرْفُ أو العدمُ الكُليُّ نظامًا بديعًا؟ وكيف يظهر القصد الحكيم من غير ذي إرادة وعلم وحكمة؟ وكيف تتفجر الحياة من غير ذي حياة؟ قالوا: لا ندري، لكن الأمر هكذا.

وقالوا: هو النشوء والارتقاء. وقالوا: هي طبيعة المادة متى تشكلت بوضع خاص. وقالوا: هي المصادفة.

وكذبوا في كل ذلك، والواقع يرفضه، ومنطق العقل يرفضه.

رابعًا: وتزعم المادية أن الإحساس في الحياة إلى درجة وعي الذات ووعي ما يجري حولها من الكون، حتى مستوى الفكر العالي في الإنسان، إنما كان نتيجة تطور المادة تطورًا ذاتيًا ارتقائيًّا وبناءً؛ على هذا تزعم المادية أن الأفكار إنما هي انعكاس حركة

المادة على الدماغ، وأن المعرفة صورة يصطنعها الدماغ بإحداث الروابط بين الصور التي تنعكس عليه من المادة.

خامسًا: وتزعم المادية أن الحياة ظهرت في الكون المادية نتيجة المصادفة، دون خطة سابقة من عليم حكيم، ودون قضاء وقدر من مريد ومختار، ودون قدرة خالقة من خالقٍ قدير. وتزعم أن الحياة ثمرة تفاعلات المادة الناتجة عن حركتها الذاتية المستمرة، فهي أثر تركيب خاص معقّد للمادة.

وما زالوا يصرون على هذا الزعم، مع أن القرار العلمي الأخير الذي اتفق عليه العلماء الشرقيون، والغربيون الماديون ينص على أن العلم عاجز عن إيجاد أدنى صورة من صور الحياة، بتخليقها من المادة التي لا حياة فيها.

سادسًا: وتزعم المادية أنه لا وجود لشيء اسمه الروح على اعتبار أن هذه الروح مباينة في طبيعتها للمادة. وتزعم أن المادة حينما تكون في تركيب معين تكون الحياة من معطياتها، وكلما ارتقى هذا التركيب ارتقت معطيات الحياة من المشاعر النفسية والإرادة واللذة والألم والأفكار.

سابعًا: وتزعم المادية أن الإنسان هو الذي اخترع بتخيله فكرة الرب الخالق القدير المهيمن العليم الحكيم العدل المعين عند الملمات، المجازي على الحسنة وعلى السيئة. الواقع أنه لا وجود لهذا الرب الخالق.

هذه هي خلاصة أصول مزاعم المادية، وهي جميعها دعاوى تقريرية لا دليل عليها مطلقًا. وتتفرع عن هذه المزاعم الأصول مزاعم فرعية كثيرة، تتساقط من تلقاء نفسها متى ظهر تساقط هذه المزاعم الأصول.

تلخيص موقف الماديين:

ويتلخص موقف الماديين بأنهم يقولون:

إن أصل الوجود كله مادة لها طاقة، أو طاقة تشكلت مادة. وهذه المادة عديمة الوعي والإرادة والتدبير، وليس وراءها عقلٌ يدبرها، ولا إرادة تهيمن عليها وتسيرها،

ولا قصد يوجه مسيرتها، ولا علم يحيط بكل ذرة من ذراتها، وكل حركة من حركاتها، وليس لها علة من قبل عليم حكيم مريد قد أبدعها، ونظم حركتها، ووضع قوانينها.

ويحاول الماديون إقناع أنفسهم ومن يستجيب لهم، بأن اكتشاف العلماء لحلقات الاتصال بين ظاهرات الطبيعة كافٍ لحل كل تساؤلٍ حول مصدر المادة، وحول سر نظام عملها وإتقان صنعها، وزعموا أن هذا يغنيهم عن إثبات حاجة المادة إلى قوة غيبية عليمة حكيمة مريدة مختارة.

لقد تعلق الماديون بذيول المادة، واندفعوا وراء الوهم الخادع الذي سيطر على مشاعرهم، وعلقوا أنفسهم بسرابها، وصبروا على ظمأ أفكارهم وقلوبهم الشديد الذي لم يُرْوِهِ سراب المادة، وتظاهروا كذبًا وزورًا وتزييفًا لحقيقة ما في نفوسهم بأن أسئلتهم قد انتهت عند حدود معرفة الروابط بين الظاهرات السببية، التي هي في حقيقتها أسباب ظاهرية وليست عللًا حقيقية.

إن الروابط بين الظاهرات عاجزة عن تفسير الكون، والقوانين نفسها التي توصل إليها العلماء تحتاج إلى تفسير ما دامت لا تنتهي إلى الإرادة العليمة الحكيمة القادرة.

إنهم اتجهوا هذا الاتجاه الناقص الباطل عقليًا وعلميًا، ليفروا من الاعتراف بالحقيقة الكبرى، وهي وجود الله عز وجل، وذلك لئلا يلتزموا تبعات هذا الاعتراف.

نظرة عامة حول حجج الماديين وجدلياتهم:

1- لا يقدم الماديون لأي دعوى من المزاعم التي زعموها أي دليلٍ عقلي أو عملي، غير محاولات الطعن بأدلة مخالفيهم في مذهبهم المقتصر على إثبات الوجود المادي وإنكار ما سواه، وإنكار الرب الخالق على أي تصور من تصورات المثبتين له، أصابوا في تصورهم أو أخطؤوا.

2-كل ما يقدمه الماديون لإثبات أفكارهم لا يخرج عن ادعاءات لا دليل عليها، لا من البديهة، ولا من النظر العقلي، ولا من وسائل العلوم الطبيعية الكونية.

إنها قضايا تقريرية يحكمون بها من عند أنفسهم، دون أن يشهد لهم دليل صحيح بشيء منها، وظواهر الكون وقوانين الطبيعة التي توصلت إليها العلوم التجريبية، لا تسمح لهم مطلقًا بأن يفسروا الكون بأي زعم من المزاعم التي قدموها في تقريراتهم.

ومع ذلك يزعمون لأنفسهم العلمية، ويحتكرونها لمناهجهم على سبيل الادعاء الكاذب، ويدّعون أنهم يتقيدون بالإثباتات العلمية القائمة على التجربة والملاحظة والمشاهدة الحسية.

3–سبيل الماديين لتأييد أفكارهم وإدْحاض أفكار مخالفيهم - على طول خط مناظراتهم - يتلخص في الأكاذيب، وصناعة المغالطات، وترديد الدعاوى، والثرثرة بالأقوال المزخرفة، وادعاء العلمية، ومواجهة المخالفين بالنقد اللاذع، وبالهزء والسخرية، وبالشتائم، والاتهام بالرجعية والجمود والتخلف العلمي والفكري، ونحو هذه المسالك القذرة.

4– العقول العلمية عند كل المنصفين، تدين الماديين بالسطحية، والتخلف العلمي، والمكابرة، والتعصب، والتقليد الأعمى، واتباع الهوى، والرغبة بإطلاق البهمية المفترسة المدمرة في الإنسان.

اضطراب الماديين في تفسيراتهم:

اضطرب الماديون في تفسيراتهم لتعليل الوجود المادي وما فيه من تغيرات وحدوثات. وكلما اكتشف العلم حلقة سببية من حلقات أسباب الظواهر الطبيعية في الكون، قال الماديون: انتصرت المادية، وتأكدت صحة المذهب المادي، ثم يخيب أملهم حين يعجزون عن تفسير هذا السبب وإدراك ماهيته.

أمثلة من أقوالهم المضطربة:

1–قال الفلكيون منهم: يكفينا قانون الجاذبية في تعليل الكون. مع أن قانون الجاذبية نفسه غيبيٌّ غير مشهود الذات، وهو نفسه يحتاج إلى تعليل، وليس هو القانون الأول الذي يمكن أن تعلل به كل الظاهرات.

2 –وقال الطبيعيون منهم: يكفينا قانون المادة والقوة عن الاعتقاد بقوة غيبية كبرى تدبر العالم، وتهيمن عليه، وترجع إليها كل تصاريفه.

3–وقال الكيميائيون منهم: تكفينا خصائص الذرة وصفاتها، وألفة العناصر، في معرفة نسبة التكوين المادي.

4–وقال الميكانيكيون منهم: تكفينا سنن القوة والطاقة، لمعرفة حقيقة القوى المنبثة في الطبيعة.

5–وحين كشف "غاليليو" من ظواهر الكون دوران الأرض حول الشمس، قال الماديون: انتصرت المادية. وماذا في هذا الكشف غير الوصول إلى معرفة ظاهرة من الظواهر التي لا حصر لها في هذا الكون؟!

6–وحين كشف الفلكيون بوسائلهم حركة الأجرام السماوية، وضبطوا ما توصلوا إليه منها، قال الماديون: انتصرت المادية. وماذا في هذا الكشف إلا التوسع في معرفة الظواهر التي تحتاج هي أيضًا إلى تفسير وتعليل؟!

7–وحين علل "تشارلس داروين" في كتابه "أصل الأنواع" ظاهرة وجود الكائنات الحية، واختلاف أنواعها بفكرة النشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي، قال الماديون: انتصرت المادية. مع أن هذه الفكرة لم تثبت علميًا ولا سبيل إلى إثباتها، ولو أنها ثبتت فعلًا فهي نفسها تحتاج إلى تفسير وتعليل من سبب غيرها يستند إلى إرادة وعلم وحكمة.

8–وحين قدّم "آينشتاين" آراءه في النظرية النسبية، قال الماديون: انتصرت المادية. مع أن النظرية النسبية لا تعلل وجود الكون، ولا اختلاف ظاهراته، إنما هي فقرة من فقرات نظام الكون المحكم.

تعليق على أقوال الماديين:

يقول الماديون مقالاتهم بأفواههم لا بعقولهم وقلوبهم، إذ لا يوجد في أي مكتشف علمي صحيح أي دليل ينصر الفكر المادي المناقض لقضية الإيمان بالله الخالق المهيمن. فلا دوران الأرض حول الشمس يعلل الكون وجودًا وتطورًا ونظامًا. ولا

أفكار النشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي لو صحت تعلل وجود الكون وتطوره ونظامه، إذ هي أيضًا بحاجة إلى تفسير وتعليل. ولا النظرية النسبية، ولا علوم الذرة والطاقة، ولا سائر القوانين المكتشفة تصلح لتعليل وجود الكون، وتطوره، ونظامه، وإتقان صنعته، وظاهرة الحكمة المدركة من خلال كل شيءٍ فيه.

إنه لا يشفي العقول والصدور في تعليل هذا الكون إلا الإيمان بموجود أكبر أزلي أبدي، قدير عليم حكيم، يفعل ما يشاء ويختار، له كل صفات الكمال، وهو منزه عن كل صفات النقصان.

ويحاول الماديون الإقناع بصحة مذهبهم المادي، معتمدين في هذا الإقناع على أن اكتشاف النزر اليسير الذي اكتشف من السنن الكونية الجزئية التي يفسر الطبيعيون بها بعض الظاهرات الكونية، كافٍ في تعليل الكون كله، وفي تعليل ظاهرة الوجود الحادث كلها.

ويبين الربانيون أن الكون لا يمكن تعليله ببضع سنن اكتشفت من سننه، وهي أنفسها بحاجة إلى تعليل، ولا يزال العلم الإنساني بها ناقصًا وغامضًا، وغير كاشف لماهيات الأسباب والعلل، وما دامت الأسباب والعلل سننًا وقوانين لا تملك علمًا ولا حكمة ولا إرادة ولا اختيارًا، فإنها لن تكون كافية لتعليل تصاريف الكون المتقن المحكم الذي يتجلى فيه القصد، وتظهر فيه العناية.

إن التعليل مثلًا بالجاذبية، أو النشوء والارتقاء لو ثبت، أو بغير ذلك من أسباب وقوانين، لا يكفي في بيان السبب الحقيقي النهائي المقنع لتساؤلات الفكر.

إن التعليل بهذه الأسباب يشبه تعليل انعقاد الأجنة في الأرحام بالاتصال الجنسي بين الذكر والأنثى، وتعليل النبات بزرع الحب في الأرض، وسقيه بالماء، وإمداده بالشروط اللازمة لظهور النبات ونمائه.

إن هذه الأسباب أسبابٌ وضعت في نظام الخلق للعملية الحقيقية. وبها ستر الخالق أفعاله في خلقه، ليمتحن أولي الأفكار بالإيمان به، وهو غيب عن حواسهم، ولا تصلح هذه الأسباب لأن تكون أسبابًا حقيقية تعمل من ذواتها.

إن السبب الحقيقي شيء آخر غير هذه الأسباب الوسيطة حتمًا، إن هذه الأسباب لا تشتمل على مقتضيات عقلية تستلزم مسبباتها، فلا بد من الانتقال منها إلى السبب الحقيقي، وهذا الانتقال يوصل حتمًا إلى إثبات قضية الخلق الرباني، وبذلك تطمئن فطر العقول والقلوب والنفوس، إذ به تنتهي إلى الجواب المقنع المسكت القاطع لأي تساؤلٍ منطقي مقبول.

إن جاذبية "نيوتن" وكيمياء "لافوازيه" ونظام "لا بلاس" ونسبية "آينشتاين" وأشباهها، إنما تكشف عن أنظمةٍ وأسباب وسيطة، وضعها خالق الكون، وجعل تصاريف خلقه ضمنها، وهي بذواتها لا تصلح لتعليل وجود الكون، وتطوره، وما يجري فيه من تصاريف تعليلًا حقيقيًا مقنعًا وشافيًا، ولا تصلح لتفسير استمرار نظامه الدقيق، وثبات قوانينه، وما يبدو في كل جزء من أجزائه من حكمة مقصودة.

كشفُ زيُوف أفْكار المادّيين وَجَدَليَّاتِهِم:

أولا: كشف زيف استدلال الماديين بالأسباب الصورية أو الوسطية والسبب الحقيقي:

أهم أدلة الماديين محاولاتهم الرامية إلى تعليل الظواهر الكونية بالأسباب الكونية التي يكتشفونها علميًا، أو يستنتجونها استنتاجًا عقليًا، ويسمونها قوانين طبيعية، مع أن هذه الأسباب أو ما يسمونه بالقوانين الطبيعية تحتاج هي أنفسها إلى تعليل، إذْ ليس من صفاتها الذاتية صفة الأزلية، ولا صفة العلم والإرادة والاختيار الحكيم.

والشرح التحليلي التالي يبين مدى ضعف الأسباب المادية عن تعليل حوادث الكون، وعدم صلاحيتها لتعليلٍ حقيقيٍ مقنع:

إن قوانين السببية المادية تعلل حدوث الظواهر الكونية بوصفها أسبابًا صورية أو وسيطة، تم بموجبها تنظيم تغيرات الكون وأحداثه، لا بوصفها أسبابًا حقيقية. لذلك كانت البديهة العقلية الفطرية تتطلب باستمرار متابعة حلقات سلسلة الأسباب المادية، حتى تنتهي إلى السبب الحقيقي الفعال، وهو لا بد أن يكون سببًا ذا إرادة وقدرة، ثم إذا كان العمل حكيمًا، فلا بد أن يكون سببًا ذا إرادة وقدرة وعلم وحكمة، وهذه من لوازم صفة الحياة.

ومتى وصل الفكر بطريقة منطقية سليمة إلى مُسبّب ذي حياةٍ وإرادة وقدرة وعلم وحكمة، وصل إلى القناعة الكافية بأن هذا المسبب يصلح لأن يكون هو المسبب الحقيقي، الذي يتوقف الفكر عنده عن متابعة السؤال عن السبب الحقيقي.

أما الحلقات السببية التي قامت بينه وبين الظاهرة التي حدثت، فهي جميعها من قبيل الوسائل أو الأسباب الصورية أو الوسطية، ولا تصلح لأن تكون هي السبب الحقيقي الذي يورث القناعة، ولا تُنهي تساؤلات الفكر، ولا تُروي ظمأه إلى معرفة السبب الحقيقي.

قد يعض الكلب الحجر الذي رآه يتجه نحوه ليصيبه، أما الإنسان المفكر فإنه يبحث عن الذي رمى الحجر نحوه بقصد، فإذا عرفه واستبان أنه قد قصد قتله أو إيذاءه حاول أن ينتقم منه دفاعًا عن نفسه، ولم يفكر بالانتقام من الحجر مطلقًا.

وهنا نقول: إن الماديين الذين يقفون عند الأسباب المادية للظواهر الكونية التي يتجلى فيها القصد، ولا يبحثون عن السبب الحقيقي، مع أن هذه الأسباب تحتاج هي أنفسها إلى أسباب تفسر ظاهراتها وتعلل حدوثها، **إنما يفكرون بمثل دماغ الحيوان الذي يعض الحجر الذي قُذف عليه.**

وحين يرى العالم الباحث عظامًا قديمة في مكانٍ ما من الأرض، يعزو وجودها إلى سبب، هو كونها عظام حيوان كان حيًا يومًا ما، وحين تجتمع لديه مجموعة عظام يمكن أن يتألف منها هيكل عظمي لحيوان ذي صفات خاصة، فإنه يفكر في تأليفها وتجميعها، حتى يستخرج الهيكل العظمي الكامل لذلك الحيوان.

ثم إذا رأى ظاهرة تدل على أن الحيوان تعرض لكسرٍ في جسمه، بسبب أثر سهم أو صدمة أو عضة حيوان مفترس، فإنه يفكر في البحث عن سبب موته.

ثم يتساءل أيضًا عن سبب وجود هذه العظام في المكان الذي وجدها فيه، وهكذا يتسلل مع الأسباب حتى يكتشف جملة معارف، وحتى ينتهي إلى موقف تنقطع عنده أسئلته. وهذا الموقف: إما أن يكون أمرًا لا يحتاج إلى تفسير، باعتبار أن الضرورة

العقلية تقضي به. وإما أن يكون أثرًا لذي حياة وإرادة وغيرهما من الصفات التي تتطلبها طبيعة الظاهرة الملاحَظة.

وفي الظواهر الكونية يقال:

١- إن ينابيع الأرض تأتي من مخازن مياه فيها، وهي تجويفات في باطنها، وفي جبالها.

2- ومخازن الأرض هذه قد تجمعت المياه فيها مما تسرب في مساربها من مياه الأمطار والثلوج.

٣- أما الأمطار والثلوج فهي من السحب، وتنزل منها على سطح الأرض بأسباب.

٤- وأما السُحب فهي تتجمع من تبخر مياه البحار وغيرها، وتأتلف وتجري في السماء بوساطة الرياح.

٥- وأما تبخر المياه فيكون بتأثير حرارة أشعة الشمس أو سبب آخر.

٦- وأما الرياح فتوجهها عوامل لها أسبابها.

٧- وأما الشمس فهي تدفع أشعتها بسبب النيران العظيمة الملتهبة فيها، إذ هي كتلة نارية ملتهبة.

وهكذا لا يقف الفكر عن البحث عن الأسباب، ولا يقنعه أي سبب مادي يعتبره هو السبب الأخير، بل يرى كل سبب مادي غير صالح لأن يكون سببًا ذاتيًا كافيًا للوقوف عنده، إذ هو في حركته السببية يحتاج أيضًا إلى سبب.

لكن متى وصل الفكر إلى فاعل ذي إرادة وقدرة وصفات تؤهله لأن يكون هو السبب الحقيقي وقف عنده واكتفى، ورأى ذلك مقنعًا وكافيًا لتعليل حدوث الظاهرة، وارتوى ظمؤُهُ إلى معرفة السبب الحقيقي، أما الوسائل أو الأسباب الوسيطة التي لا تملك إرادة الفعل بذواتها فلم تكن لتروي ظمأه.

وبناءً على هذا نستطيع معرفة أن السبب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: السبب الذي هو من قبيل الوسائل، أو الأسباب الصورية أو الوسيطة، وهو سبب غير حقيقي، إذ هو لدى التحليل سبب فاعل باستخدام غيره له، لا فاعل بذاته.

القسم الثاني: السبب الذي يفعل بذاته، ولو عن طريق استخدام الأسباب الوسيطة، وهذا هو السبب الحقيقي.

ويمكن أن نفهم هذين القسمين بوضوحٍ عن طريق المثال التالي:

إن الرصاصة التي قتلت قد كانت سببًا وسيطًا للقتل فهي سبب غير حقيقي. والبارود الذي اشتعل في الأنبوبة النحاسية فدفع الرصاصة، قد كان سببًا وسيطًا للدفع، فهو سبب غير حقيقي. و"الكبسولة" التي أشعلت البارود في الأنبوبة قد كانت سببًا وسيطًا للإشعال، فهي سبب غير حقيقي.

وضَرْبُ إبرة المدفع للكبسولة قد كان سببًا وسيطًا لتفجيرها وإطلاق الشرارة منها، حتى يشتعل بسببها البارود، فهو سبب غير حقيقي.

والإصبع التي حركت زناد المدفع قد كانت سببًا وسيطًا لضرب الإبرة على الكبسولة، فهي سبب غير حقيقي.

أما إرادة الرجل الذي حرَّك إصبعه، وهو حرٌّ مختار لم يُكرهه أحد، قاصدًا إطلاق الرصاصة، وإصابةَ الهدف الذي أصابته، وقتلَ من قتلته الرصاصة، فهي السبب الحقيقي الذي ينتهي الفكر عنده، فلا يسأل عن سبب آخر وراءه.

نعم. قد يسأل عن غاية الرجل القاتل مِن توجيه إرادته هذه، وعن هدفه، وعن مصلحته من ذلك العمل، بيد أنه لا يسأل عن سبب حقيقي وراء الإرادة المدركة المختارة، التي كانت هي السبب في توجيه الحركة لأول حلقة من حلقات سلسلة الأسباب، التي هي في حقيقتها وسائل وأسباب وسيطة غير حقيقية.

ربما تحدُث بعض الحوادث على سبيل المصادفة، في حدود مُدرَكاتِنا الظاهرة، أو يفعلها فاعل دون إرادة وقصد، ولكن يستحيل أن تتكرر على نظام واحد، وأن تبرز فيها دائمًا مع التكرار آثار القصد، ثم تكون مع ذلك قد حدثت على سبيل المصادفة. هاتان قضيتان متنافرتان لا تجتمعان.

وهنا نلاحظ أن كل ما تكتشفه العلوم من أسباب للظواهر الكونية الحادثة، هي في حقيقة أمرها وسائل، أو أسباب وسيطة، أو حلقات مقترنة متتابع توهم أنها أسباب، وليست بأسباب حقيقية.

وحين نوافق على تسميتها أسبابًا وعللًا، فإنما نُسمّيها بذلك تسمية مجازيّة لا حقيقية، وهو نظير قولنا: إن الرصاصة التي نفذت إلى مقتل القتيل هي التي قتلته، مع أن القتيل إنما قتله ذو الإرادة الذي أطلق عليه الرصاصة ليقتله، فكانت الرصاصة بكل شروطها وسيلة، أو سببًا وسيطًا استخدمه القاتل الحقيقي.

وإذ قد ظهر لدينا الفرق بين السبب الحقيقي، والأسباب التي هي في حقيقتها من قبيل الوسائل أو الأسباب الوسيطة، يحسُن بنا أن نعرف أيضًا الفرق بين السلاسل السببية الوسيطة غير الحقيقية، وبين السلاسل الاقترانية.

السلاسل السببية الوسيطة:

أما السلاسل السببية الوسيطة غير الحقيقية، فهي تشبه العربات التي تجرُّها قاطرة القطار، وتشبه القاطرة نفسها.

إن كل عربة تجرها العربة المتقدمة عليها، والقاطرة تجر العربة الأولى الموصولة بها، لكن القاطرة نفسها لا تكفي لأن تكون السبب الحقيقي، فلا بُد من تجاوزها حتى نصل إلى المحرك المريد المدرك لما يفعل، فهو الذي نقتنع بأنه هو السبب الحقيقي، وقد نتجاوزه أيضًا باعتباره مأمورًا، حتى نصل إلى من أمره بتسيير القطار.

فالارتباط بين القاطرات ظواهر سببية، لكنها ليست أسبابًا حقيقية، إذ لو تغيرت إرادة محرك القاطرة لأوقفها، وعندئذٍ يقف كل القطار.

السلاسل الاقترانية:

وأما السلاسل الاقترانية، فهي تشبه السيارات المتلاحقة في موكب عسكري أو مدني، ضمن عرض نظامي.

إنها من جهة الصورة الظاهرة تتحرك تحركًا متتابعًا يوهم أنها مترابطة، غير أنها منفكةٌ حقيقةً، وما يظهر منها ليس أكثر من اقتران فقط، ولكل سيارة منها سائقها، وإراداتُ السائقين توافقت بموجب نظامٍ عام أملاهُ واضع خطة العرض.

ولو كانت هذه السيارات تسير بشكل آلي، وتُوجَّه بموجب موجِّه ألكتروني، مرتبط بمركز توجيه عام، لكانت كلُّ سيارة منها موجَّهةً بموجب إرادة المشرف العام على التوجيه مباشرة، رغم انفكاك الارتباط بين السيارات.

وحين ننظر في هذا الكون الكبير نجد سلاسل سببية وسيطة غير حقيقية، ونجد سلاسل اقترانية.

أما السلاسل السببية الوسيطة، فإن برهان العقل يوجب أن يكون لها سبب حقيقي هو العلة الفاعلة، ويكفي أن يكون المحرك لأولها.

وأما السلاسل الاقترانية فكل حلقة منها تتطلب سببًا حقيقيًا، أي: علة فاعلة.

وبهذا يظهر لنا سقوط رأي الماديين الذين يحاولون إقناع أنفسهم وغيرهم، بأن معرفة أسباب الظواهر الكونية، والتي قد يطلقون عليها قوانين طبيعية، كافٍ لتعليل الكون، ولتعليل حدوث ظاهراته، دون الحاجة إلى إثبات فاعل قدير عليم مريد يفعل ما يشاءُ ويختار.

ويتأكد لدينا بالبرهان أن الظواهر الكونية المتقنة الحكيمة تحتاج حتمًا إلى فاعل أزلي أبدي قدير عليم مريد حكيم يعفل ما يشاء ويختار.

ومن الأسباب الحقيقية أو العلل الكافية عقلًا: الضرورات أو الحتميات العقلية.

فمتى كان السبب الحقيقي أو العلة ضرورة عقلية أو حتمية عقلية، كانت كافيةً للتعليل، وموِرثة للاقتناع التام، وبها ينتهي العقل إلى المعرفة التي لا يتساءل بعدها عن علة للظاهرة.

١- فمن الضرورات العقلية، أو الحتميات العقلية، أن يكون وجود موجودٍ ما، هو الأصل، لا العدم الكلي العام الشامل لكل ما يخطر في الفكر وجوده.

وذلك لأنه لو كان العدم الكلي الشامل لكل ما يخطر في الفكر وجوده هو الأصل، لاستحال عقلًا وواقعًا أن يتحول العدم بنفسه إلى الوجود.

وإذا استحال أحد النقيضين كان النقيض الآخر واجب الوجود عقلًا.

إذن فقد وجب بالضرورة العقلية أو بالحتمية العقلية، أن يكون الوجود لموجودٍ ما، هو الأصل. وما كان وجوده هو الأصل عقلًا، فإنه لا يحتاج تفسيرًا ولا تعليلًا، ولا يتطلب سببًا. هذه الضرورة العقلية، أو الحتمية العقلية، تثبت عقلًا بدليل استحالة نقيضها عقلًا.

٢- ومن الحتميات العقلية استحالة تحول العدم المطلق بنفسه إلى الوجود.

وهذه الضرورة العقلية، أو الحتمية العقلية، ثابتة بالبديهة العقلية، ولا دليل أقوى من دليل البديهة العقلية، وبها يُستَدَل على المعارف النظرية.

3- ومن الحتميات العقلية استحال تأثير العدم المحض في الوجود، أو فيما هو موجود، وذلك لأن العدم المحض ليس أي شيء مطلقًا.

وهذه الحتمية أو الضرورة العقلية ثابتة بالبديهة، ولا تحتاج أي برهان عقلي.

٤- ومن الحتميات العقلية، استحال توقف وجود الشيء على وجوده نفسه، واستحالة توقف عدمه على عدمِه نفسه.

وهذه الاستحالة قد جاءت من الدور المستحيل عقلًا بداهة.

٥- ومن الحتميات العقلية استحالة كون بعض الشيء أكبر من الشيء كله. وهذه الاستحالة آتية من أن بعض الشيء مهما عظم فهو موجود في كله، ويزيد عليه بأشياء ليست هي في البعض.

٦- ومن الحتميات العقلية أن فاقد الشيء لا يكون قادرًا على إعطاء ذلك الشيء الذي لا يملكه، ولا يملك سببًا لإعطائه. وهذا بحكم البديهة العقلية.

٧- ومن الحتميات العقلية أن فاقد القدرة على إيجاد الشيء لا يمكن أن يوجِد ذلك الشيء. وهذا بحكم البديهة العقلية.

٨- ومن الحتميات العقلية أن ما هو واجب الوجود لذاته لا يمكن أن يلحقه العدم بحال من الأحوال. وذلك لأنه لو جاز أن يلحقه العدم لما كان واجب الوجود، بل ممكن الوجود والعدم، وهذا تناقض (واجب الوجود = ممكن الوجود والعدم) والتناقض لا يجتمع في شيءٍ واحدٍ بداهةً.

٩- ومن الحتميات العقلية أن ما هو واجب الوجود لذاته لا بد أن تكون صفاته واجبة الوجود أيضًا، فلا يتطرق لها إمكان التغير بحال من الأحوال.

وذلك لأن إمكان التغير إنما هو قابليّة انعدام الصفة وحلول صفة أخرى محلها، ولما كان واجب الوجود لا يخلو عن صفاته منذ الأزل، فصفاته مثله في الأزلية، فهي إذن واجبة الوجود.

١٠- ومن الحتميات العقلية، أن الإمكان في الشيء دليل حدوثه، لأنه لو لم يكن حادثًا لكان واجب الوجود، وهو ضد الإمكان فاجتماعهما في شيء واحد تناقض، وهو مستحيل عقلًا.

١١- ومن الحتميات العقلية أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، وأن الضدين لا يجتمعان، وقد يرتفعان.

وهذه من المقررات المنطقية المسَلَّم بها عند الجميع.

١٢- ومن الحتميات العقلية أن كل ممكن الوجود والعدم أصله العدم، لأنه لو كان أصله الوجود لكان واجب الوجود عقلًا، فلا يكون مع ذلك ممكن الوجود والعدم، لاستحالة التناقض.

١٣- إذا استوفت القسمة العقلية جميع الاحتمالات الممكنة عقلًا لشيء من الأشياء، استحال عقلًا الزيادة عليها في ذلك الشيء نفسه، فالوقوف عند الاحتمالات الممكنة ضرورة عقلية، أو حتمية عقلية، وعدم القدرة على إيجاد احتمال زائد عليها لا يُسمّى عجزًا، وإنما هو انسجام مع أحكام العقل وحتمياته، وضرورات الحقائق وحتمياتها.

ثانيًا: كشف زيف استدلال الماديين بنظرية لافوازييه:

يتذرع المادّيّون بنظرية "لافوازييه" في الكيمياء، التي تقول: لا يُخلق شيء من العدم المطلق، ولا يُعدمُ شيء، وإنما هي تحوّلات من مادة لمادة، أو من مادة لطاقة، أو من طاقة لطاقة، أو من طاقة لمادة.

وإذا دققنا في أصول هذه النظرية التي قرّرها "لافوازييه"، وتابعه فيها علماء الكيمياء وسائر الباحثين في الطبيعة، نجد أنها تتحدث عن مجال معيّنٍ ذي أبعادٍ ثلاثة، وليس في مستطاعها أن تتحدث عن كل الوجود، في كل أبعاده من الأزل إلى الأبد، وإلا كانت غير علمية وغير عقلية.

إن التحدث عن الوجود كله، بكل أبعاده من الأزل إلى الأبد، ما هو مشهود منه وما هو غير مشهود، أمرٌ لا تستطيع تقريره أية نظرية استقرائية، مهما بلغ شأنها، إلا أن يكون كلامها رجمًا بالغيب، وتكهُّنًا لا سند له، وطرحًا تخيليًّا محضًا.

والأبعاد الثلاثة لنظرية "لافوازييه" التي تقف فيها عند حدود لا تستطيع تجاوزها، هي ما يلي:

- **الأول:** البعد الزماني.
- **الثاني:** البعد المكاني.
- **الثالث:** البعد الإدراكي.

وها هنا تُطْرَح أربعة أسئلة على العلماء:

السؤال الأول:

هل رَصَد واضعُ هذه النظرية العلمية، ومؤيدوها ومقرروها مِن بعدِه، أجزاءَ الكون وعناصرَه في كل الأزمان الماضية، بما فيها الأزمان السحيقة في القدم، وبناءً على هذا الرصد الشامل عرفوا أنه لم يُخلق شيء من العدم في الأزمان القديمة جدًا؟

الجواب: أنهم لم يفعلوا ذلك، لأنه لا يتسنى لهم بحالٍ من الأحوال، وهم أبناء النهضة العلمية الحديثة.

ألا يدخل في حدود الإمكان العقلي أن نظام الكون بعد خلقه من العدم، قد رُسم وقُدّر له، أن يخضع لسنة التحويلات مدة بقائه، أو إلى جملة أحقابٍ زمنية، ونحن لم نشاهد إلا ما عاصرنا من هذه الأحقاب؟

هذه واحدة، تُوقِفُ نظرية "لافوازييه" عند حدٍّ زمني ولا تستطيع من ورائه أن تتحدث بإيجاب ولا بسلب. وقد أوْقَفَ القرآن الباحثين في الكون عند حدود ما شهدوه منه، فقال تعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ (الكهف:٥١).

والحجة الثانية لإيقاف هذه النظرية عند حدها الزمني، تُقَدّمها الأدلة العلمية والعقلية، التي تثبت أن لهذا الكون بداية، وإثبات أن لهذا الكون بداية يستلزم بداهةً أنه لم يكن ثم كان، فهو إذن مخلوق من العدم، بقدرة خالق موجود أزلي واجب الوجود لذاته.

بهذا يتضح أن هذه النظرية لا تتحدث عن الانطلاقة الأولى للكون، لأن أيًا من الأجهزة العلمية لا تستطيع أن تسترجع الأزمان السحيقة، وترصد الكون فيها.

وكذلك لا تستطيع النظرات التحليلية الاستنتاجية، أن تحكم على ماضي الكون وانطلاقته الأولى، بالقياس على واقعه النظامي الذي نشاهده في الحاضر، لاحتمال الاختلاف الكبير بين نقطة البدء، وبين ما يأتي بعدها من حالات نظامية مستمرة، وسنن

ثابتة. إن نقطة بدء خلق الإنسان لا تشبه الحالة المستمرة له بعد أن صار سويًا يمشي على الأرض.

إذن: فنظريّة "لافوازييه" لا تتناول بحالٍ من الأحوال الزمن الأول لبداية الكون، ومجالها ينحصر في الأزمان التي يترجّح فيها قيام النظام الكوني الذي درسته هذه النظرية. وبهذا يتبين لنا أن التعميم الزمني فيها، الشامل لكل أزمان الماضي، تعميم غير صحيح إطلاقًا.

فاللعبة الفكرية التي يلعبها المادّيون هنا هي لعبة التعميم الفاسد، الذي لا سند له إلا الادعاء، ومعلوم بداهةً أن الادعاء وحده من غير دليل مقبول في ميزان الفكر، لا يُثْبِت أية قضيّة، وهو كذب، أو محض تخيّلٍ وافتراض ذهني.

السؤال الثاني:

هل رَصَدَ واضعُ النظرية ومؤيدوها ومقرروها مِن بعدِه، أجزاءَ الكون وعناصره في مستقبل ما يأتي من الأزمان، وثبت لهم من رصدهم أنه لا يمكن أن يُخلق شيءٌ من العدم، ولا يُمكن أن يُعدم شيءٌ موجود؟

ونقول: كيف يستنى لهم رصدُ المستقبل وهم لا يملكون استقدامه؟!

معظم ما يملكونه هو قياس المستقبل على الحاضر وعلى الماضي، قياسًا ذهنيًا، بشرط استمرار نظام الكون القائم. وهم لا يستطيعون أن يحكموا على الكون بأنه لا يمكن أن يتغير نظامه الكلي، فتأتيه حالةٌ من الحالات يمسي أو يصبح فيها عدمًا، أو تنعدمُ بعض أجزاءٍ منه، أو تضافُ إليه أجزاءٌ لم تكن هيئتها ولا مادتها فيه، فهذا حكم لا سبيل إليه، إنه حكم على مجهول، والحكم على المجهول باطل، هو رجم بالغيب، وقول بغير علم، وبغير ظن راجح أيضًا، إذ لا يوجد دليل ولا شبه دليل.

إذن فنظرية "لا فوازييه" تنطبق على هذا الكون بشرط استمرار نظامه القائم، وهي لا تحكم على المستقبل حكمًا قاطعًا باستحالة تغيّر هذا النظام، ولكن ما دام هذا النظام قائمًا، فإن ضابطه أن جميع ما يجري من تغيرات المدركات للناس فيه إنما هو من

قبيل التحولات، باستثناء ظاهرة الحياة والموت، التي لم يصل العلم الإنساني إلى إدراك حقيقتها، ولا إلى معرفة سر التقاء الأرواح بالأجساد وانفصالها عنها.

وبهذا يتبين أن التعميم الزمني الشامل لكل أزمان المستقبل في هذه النظرية تعميم غير صحيح إطلاقًا.

ويقال هنا أيضًا: إن لعبة المغالطة في نظرية "لا فوازييه" هي لعبة التعميم الفاسد، الذي لا سند له إلا الادعاء، وكل ادعاء لا يدعمه دليل مقبول ادعاء ساقط.

لقد تأكد بالبيان الشافي أن نظرية "لافوازييه" محدودة ببعد زمني معين، لا يشمل الزمان الماضي السحيق، ولا الزمان المستقبل المجهول. وتأكد لدينا أن هذه النظرية مشروطة بوجود هذا النظام القائم للكون، ماضيًا ومستقبلًا، وليس لهذا النظام طبيعة عقلية توجب أن يكون كذلك من الأزل إلى الأبد.

السؤال الثالث:

هل رصَدَ واضعُ هذه النظرية ومؤيّدوها ومقرّروها مِن بعدِه هذا الكون كله في كل أبعاده المكانية؟

ألا يحتمل عقلًا وجود مكان سحيق في الكون لم يرصدوه، ولم يعرفوا ما فيه؟

أفيحكمون عليه إذًا حكمًا غيابيًا قياسًا على ما رصدوه منه في الأمكنة التي استطاعت أن تبلغ إلى مداها أجهزتهم وملاحظاتهم؟!

إن هذا الحكم الغيابي مع جهالة الخصائص والصفات حكم باطل، وهذا لا يستلزم ضرورة مخالفة الغائب للحاضر، ولكن لا يستلزم أيضًا ضرورة موافقته.

فلا بد إذًا من تحديد مكان النظرية بالأبعاد المكانية التي كانت مجال الملاحظة والقياس بالأجهزة، مع التجاوز بصحة قياس ما شابهها عليها، مما لا يخضع للملاحظة المباشرة.

وهكذا يظهر لنا أن نظرية "لافوازييه" محدودة ببُعْد مكاني معين، وهو أمرٌ توجبه الدراسة المنطقية الحيادية، وتوجبه الأمانة الفكرية في البحث الجادّ عن المعرفة والحقيقة.

السؤال الرابع:

هل شمل رصْد واضع هذه النظرية، ورصدُ مؤيّديها ومقرّريها مِن بعدِه، كلَّ أجزاء الكون المادي وغير المادّي، ما ظهر منه وما بطن، وما لم يصل إليه الإدراك الإنساني، مما هو موجود في الكون، ويثبته الاستنتاج الفكري، ولكن لا يزال عن أجهزة الحس غيبًا، فهو غير مدرك بالحواس، لا بطريقة مباشرة، ولا بطريقة غير مباشرة؟

الجواب الواقعي يقول: إن الوسائل الإنسانية كلها لم تصل حتى الآن إلى رصْدِ كل ما في هذا الكون، ولا إلى إدراك جميع ما فيه، فما هو غيب عن الناس أكثر مما هو مشهود لهم.

والجواب الواقعي يقُول أيضًا: إن للإدراك الإنساني بُعدًا لا يستطيع تجاوزه، وإن لهذا الإدراك حدودًا هو عاجزٌ عن اختراقها.

وتحديد البُعْد الإدراكِي لنظرية "لافوازييه" يتلخص بأن النظرية قد اعتمدت على ملاحظة عالم الشهادة من الكون المدرك بالحواس الإنسانية ووسائلها. أما عالم الغيب الذي لا تصل إليه الإدراكات الإنسانية المباشرة أو عن طريق الأجهزة والوسائل، فهو عالم خارج بطبيعته عن مجال النظرية.

لذلك فإن هذه النظرية لا تستطيع أن تحكم على ما هو غيب عن الإدراك الإنساني من هذا الكون، إذْ حكمها عليه هو من قبيل الحكم على الغائب المجهول في ذاته وفي صفاته.

وعالَمُ الغيب لا يصح الحكم عليه إلا بموجب الأحكام الشاملة عقلًا لعالم الشهادة وعالم الغيب معًا.

فمعظم ما تستطيعه النظريّات بالنسبة إلى عالم الغيب: هو أن تعلّق أحكامها تعليقًا كليًّا، أو تصدر أحكامًا مشروطة احتمالية غير جازمة، وهذا هو ما توجبه الدراسة العلمية المنطقية الحيادية، وتوجبه الأمانة الفكرية في البحث الجاد عن المعرفة والحقيقة.

الخلاصة:

من التحليل السابق يظهر لنا تمامًا أن نظرية "لافوازييه" لم تتناول من الكون إلا مقطعًا محدود الأبعاد الثلاثة: (البعد الزماني، والبعد المكاني، والبعد الإدراكي) وهذا المقطع المحدود هو مجال ملاحظتها.

يضاف إلى كل ذلك أن وجود الحياة في المادة لم يقترِنْ بأي دليل تجريبي يثبت تحول المادة غير الحية إلى مادة حية، عن طريق التطور الذاتي، دون أن تتولد من حياة سابقة رغم كل التجارب العلمية التي قامت في عالم البحث العلمي حتى الآن.

وظهر لنا أيضًا أن نظرية "لا فوازييه" لا تستطيع بحال من الأحوال، إثبات أزلية المادة وأبديتها، وأنه ليس في هذه النظرية أية شبهة تشير إلى عدم حاجة الكون إلى خالق أزلي أبدي، له كل صفات الكمال، وهو منزّه عن كل صفات النقصان.

ثالثًا: كشف زيف دعوى الماديين انحصار الوجود كله في الكون المادّي:

يزعم الماديون أن الوجود كله منحصرٌ في الكون المادي الخاضع للإدراك الحسي، ولو عن طريق الوسائل المادية المكبرة للدقائق الصغيرة، أو التي تُحسّ بما لا تدركه الحواس الإنسانية، أو عن طريق الاستنتاج الفكري أحيانًا.

وهذا الزعم لا دليل عليه مطلقًا، إنه مجرد إنكارٍ ورجم بالغيب.

ومذاهب الماديين حيال هذا الموضوع أن ينكروا بغير دليل وجود ما لم يتوصلوا إلى إدراكه أو معرفته عن طريق الحس المباشر أو غير المباشر.

لقد كان الماديون ينكرون ما لا تصل إليه الحواس الإنسانية، قبل أن يتوصل البحث العلمي إلى اكتشاف أجهزة تستطيع أن تحس بأشياء كونية كانت بالنسبة إلى الحواس البشرية أمورًا من أمور الغيب، ولما اكتشفت هذه الأجهزة، وكشفت للعلماء

الباحثين ما كشفت من خفايا داخل الكون، تراجع الفكر المادي عن تعنته قليلًا، فاعترف بوجود أشياء يمكن أن تدركها الأجهزة التي توصّل العلماء الباحثون إلى اكتشافها.

ومنها أجهزة الإحساس بالأشعة التي لا تدركها حواس الناس، وأجهزة الإحساس بالذبذبات الصوتية التي تنطلق في الأجواء، وأجهزة الإحساس بالطاقات الكهربائية والمغناطيسية والحرارية غيرها.

وكلما تقدّم العلم وتطورّت أجهزة الإحساس بموجودات كانت غيبًا عن الناس قبل التوصُّل إليها، تراجع الفكر المادي عن بعض تعنتاته، ولكن ظل منكرًا ما وراءه، مما لا يزال غيبًا.

لقد كان الاستنتاج العقلي يثبت أمورًا، وكان الفكر المادي ينكر بتعنت وعناد، وحين كشفت الأجهزة المستحدثة ما كان يثبته العقل، تجاهل الماديون إنكارهم الأول، وأخذوا يراوغون، ويوسعون مذهبهم المادي، حتى يشمل ما أثبتته الأجهزة المستحدثة وأحست به، وقدمت للعلماء شهادة بما شاهدت من خفايا كانت قبلها غيبًا عن حواس الناس.

أما الماديون المعاصرون الذين يعترفون بقوانين العلوم، وما توصّلت إليه استنتاجًا عقليًا، فهم يتناقضون مع أنفسهم حين يُسَلّمون بمقرراتٍ علمية لم يتوصل إليها العلم إلا عن طريق الاستنتاج العقلي، ويرفضون مع ذلك الاستنتاجات العقلية التي توصل إلى ضرورة الإيمان بالخالق.

ما أعجب أمر هؤلاء المادّيين!!

إنهم يرفضون الاستنتاج العقلي، حينما يُلزمهم جميع العقلاء بضرورة الإيمان بالخالق، الذي هو غيب عن الحواس بذاته، لكن ضرورة وجوده تُعلَمُ حتمًا بآثار صنعته المتقنة، ثم هم يقبلون بمقررات علمية كونية كثيرة ما زالت غيبًا عن الحواس، وغيبًا عن الأجهزة العلمية المتقدمة جدًا، مثل صفات الذرة، وحركاتها، وصفات الخلية،

وتطورها. مع أن هذه المقررات يوجد في بعضها ما دل عليه الاستنتاج العقلي بأمارات ظنية، لا بأدلة قطعية.

أليس هذا منهم تناقضًا مع أنفسهم؟!

إنهم لو كانوا منسجمين مع الأدلة العلمية انسجامًا سويًا لم يتدخل معه الهوى، لَمَا كانوا متناقضين في مناهجهم، ولَقَبِلوا على طول خط المعرفة ومكتسباتها كل الاستنتاجات العقلية القطعية، أو التي تعطي ظنًا قويًا راجحًا، ولما فرّقوا بين أفرادها وهي متماثلة في قوَّة دلالتها.

لكنهم متعصبون أصحاب هوى ضد قضية الإيمان بالرب الخالق، فهم يرفضون كل دليل يثبت وجوده ﷻ، مهما كان دليلًا برهانيًا قويًا، وحينما يكون لهم هوىً في أن ينتفعوا من طاقات الكون وخصائصه، يقبلون ما يقدّمه لهم الاستنتاج العقلي حول هذه الطاقات والخصائص، ولو كان استنتاجًا ظنيًا، أو وهميًا أحيانًا، ويخادعون بأن هذا مما تثبته الوسائل العلمية.

ويكفي لإدحاض مذهب الماديين الملحدين، ما اعترف به كبار علماء الكون المعاصرين، من تراجع العلم المعاصر عن اعتبار الكون مادة تعمل بصورة ميكانيكية، إلى إدراك أنه مظهرٌ لخطة عليم حكيم قدير مهيمن على كل شيء.

يقول العلامة الفلكي الرياضي البريطاني السير "جيمس جينز":

« إن العلم الجديد يفرض علينا أن نعيد النظر في أفكارنا عن العالم، تلك التي كنا أقمناها على عجل. لقد اكتشفنا أن الكون يشهد بوجود قوة منظمة أو مهيمنة، وهذه القوة تشبه أذهاننا إلى حد كبير، وهذا الشبه ليس من ناحية العواطف والأحاسيس، وإنما هو شبَه يتعلق بذلك النهج الفكري الذي يمكننا تسميتُه بالذهن الرياضي ».

رابعًا: كشف زيف إنكار الماديين وجود الخالق جل وعلا:

أنكر الماديون وجود الخالق ﷻ، ورفضوا الاقتناع بكل أدلة إثباته البرهانية، دون أن يقدموا أي دليل تقبله العقول يجعل لهم عذرًا، في هذا الإنكار.

إن جميع أدلتهم تنحصر في محاولات إيهام صغار العقول وقليلي المعرفة، بأن ما لا تشاهد ذاتَه هو غير موجود، وتجاهلوا الأدلة العلمية، التي أثبتت بشكلٍ قطعي عجز الوسائل الإنسانية عن التوصل إلى الإحساس بموجوداتٍ كونيةٍ كثيرة يثبتها العقل، ولا تستطيع وسائل العلم الإنسانية المادية أن تنفيها، بل الأمر بالنسبة إليها يعتمد على براهين العقل ودلائله الاستنتاجية.

ولما أنكر الماديون وجود الخالق جلا وعلا، لزمهم أن يقولوا: إن المادة الأولى للكون التي هي عديمة الحياة والإحساس والإدراك والفكر، قد ارتقت بالتطور الذاتي حتى نشأت الحياة، التي هي أكمل وأرقى من مادة الكون. ثم نشأت بعد ذلك في الحياة الإحساسات الراقية، حتى مستوى الفكر، ووعي ما في الكون عن طريقه. وبذلك استطاعت المادة أن تعي ذاتها، متمثلًا ذلك في الجهاز الراقي الذي أبدعته بالتطور الذاتي، وهو الدماغ.

إن مقولة الماديين هذه **مرفوضة في المنهج العلمي الذي يعتمدون عليه،** ومرفوضة بالبداهة العقلية، ومرفوضة بالمسلمة التي اتفق عليها المنهج العلمي المادي، والبرهان العقلي، وهي استحال وجود المتقنات الراقية المعقدة بالمصادفة.

١- أما المنهج العلمي المادي فقد أثبت: أن المادة التي لا حياة فيها، لا تتولد فيها الحياة بالتطور الذاتي، وأن الكائن الحي فيها لا يأتي إلا نسلًا لحي سابق عليه.

فالمادة والحياة أصلان منفصلان في هذا الكون، وليست المادة أصلًا مستقلًا للحياة، وإن كانت الحياة إنما تظهر في مُدركاتنا الحسية إذا دبت في جسد مادي مؤهل لظهور الحياة فيه.

وأثبتت الأدلة العلمية المعترف بها عند الماديين: أن وجود الحياة في المادة أمرٌ حادثٌ جدًا بالنسبة إلى مادة الكون الأولى.

- فمن أين دبّت الحياة؟
- هل وُجدت فيها من العدم المطلق؟
- هل وُجدت من المادة فاقدة الحياة، وفاقد الشيء لا يعطيه؟ هذان أمران مستحيلان عقلًا.

إذن: لم يبق إلا أن خالقًا حيًا عليمًا قديرًا حكيمًا هو الذي نفخ نسمة الحياة في المادة، وهو الذي خلق الحياة، وحين شاءت حكمته أن ينفخ نسمة الحياة في المادة، ركّب المادّة على الصورة التي قضى بحكمته أن تكون هي الشرط اللازم لاحتواء حركة الحياة.

لكن هذا اللازم العلمي والعقلي يرفضه الملاحدة الماديون، ويصرون على الاعتقاد بما هو مرفوض علميًا وعقليًا.

٢- وأما البرهان العقلي، فإنه يقرر بحكم البديهة العقلية، أن مادة الكون الأولى، التي ليس فيها مركبات متقنة، وليس فيها حياة ولا إحساس ولا وعي، لا تستطيع أن ترقى إلى الكمال ارتقاءً ذاتيًا، ولا تستطيع أيضًا أن تصنع أجزاءً فيها هي أكمل منها وأرقى.

وذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وصنع الناقص لما هو أرقى منه نظير تحوّل العدم إلى الوجود تحولًا ذاتيًا، لأن القيمة الزائدة قد كانت عدمًا محضًا، والعدم المحض لا يخرجه إلى الوجود إلا قوة مكافئة له، أو أقوى منه.

لكن المادة العمياء الصماء الجاهلة لم تكن أقوى ولا مكافئة لمادة حيةٍ مريدة ذات وعي وإحساس، بل هي أقل قيمة منها، فهي إذن عاجزة بداهة عن إنتاج ما هو خير منها.

وهذا يدل بالاستنتاج العقلي على أنه لا بد حتمًا من وجود موجود أزلي هو فوق المادة العمياء الصماء الجاهلة، وهذا الموجود الأزلي هو الذي جعل المادة ترتقي في سلم الوجود، وهو الذي خلق الأحياء وما فيها من صفاتٍ وما لها من خصائص، وهو الذي

أتقن كل شيءٍ صنعًا، ولا بد أن يكون هذا الموجود الأزلي متصفًا بصفات الكمال التي بها يخلق ويتقن ويبدع.

٣- وأما استحالة وجود المتقنات الراقية الدقيقة المعقدة بالمصادفة، فهي قضية من المسلمات التي اتفقت عليها الدلائل العلمية المادية، والبراهين العقلية المنطقية.

أما الدلائل العلمية المادية المستندة إلى الوسائل الإنسانية فإنها ترفض المصادفة في أي ظاهرة كونية ذات إتقان دقيق معقد، والباحثون العلميون سواء أكانوا مثاليين أو مادّيين، يبحثون باستمرار عن سبب أية ظاهرة كونية يشاهدونها، ويرفضون ادعاء المصادفة فيها رفضًا قاطعًا، لأن المناهج العلمية الاستقرائية قد أثبتت للعلماء أنه ما من ظاهرة تحدث في الكون دون أن تكون مسبوقة بسببٍ مكافيءٍ لحدوثها، وإذا كانت هذه الظاهرة من الظواهر التي تحتاج إلى صاحب علم ومهارة حتى يكون قادرًا على إنتاجها، قرروا أن منتجها صاحب علم ومهارة، وهكذا.

وأما البراهين العقلية فقد استطاعت أن تقدّم للرياضيين وللمنطقيين أدلة قاطعة لا يتطرق لها أدنى شبهة، وهذه الأدلة تثبت استحالة وجود متقنات راقية معقدة التكوين – كخلق الذبابة – عن طريق المصادفة. فكيف بالكون كله وما فيه من مُتقَنات لا حصر لها، أصغرها الذرة، وأكبرها في نظرنا المجرة، وأدناها في الأحياء التي اكتشفناها "الفيروس" وأعلاها فيما نشاهد الإنسان.

فماذا يقول الماديون وقد حاصرتهم الأدلة من كل مكان؟!

خامسًا: كشف زيف مزاعم الماديين حول أزلية المادّة:

ويزعم المادّيون أزلية مادة الكون الأولى وأبديتها، وهذا الزعم أمر مرفوض بالبرهان العقلي، وبالدلائل العلمية التي تعتمد على الوسائل الإنسانية.

١- أمّا البرهان العقلي: فيمكن تلخيصه بأن ما هو أزلي هو واجب الوجود عقلًا لذاته، وما هو واجب الوجود لذاته لا يمكن أن يكون قابلًا للتغير:

- لأن قابلية التغير إمكان، والإمكان نقيض الوجوب، سواء أكان هذا الوجوب وجوب وجود أو وجوب عدم، والنقيضان لا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد بحال من الأحوال.
- ولأن التغير هو انعدام للصفات الأولى، وحدوث للصفات الجديدة، والذي يقبل الانعدام والحدوث لا يكون واجب الوجود، بل هو ممكن الوجود وأصله العدم، وهذا مناقض للأزلية.
- ولما كانت ذات الموجود ملازمة باستمرار لصفاته، فإن الحدوث في الصفات التي هي ملازمة للذاتِ يستلزم حدوث الذات، وهذا مناقض لأصل ادعاء أزلية الكون الذي هو ملازم للتغير بالمشاهدة.

٢- وأما الدلائل العلمية التي تعتمد على الوسائل الإنسانية فقد عبّر عنها طائفة من علماء الطبيعة، الذين أثبتوا عن طريق الدلائل العلمية، أن الكون صائر إلى العدم، وأن ما هو صائر إلى العدم لا يمكن أن يكون أزليًا. واستدل بعض هؤلاء بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية.

سادسًا: كشف زيف نظرية دَارْوين حول التطوُّر:

تقوم فكرة التطور الداروينية على:

١- أن الكائنات الحية تسير في تطورها مرتقية من أدنى الأحياء إلى الأعلى فالأعلى، وأن الإنسان قد كان قمة تطورها.

٢- وبقاء بعض الأنواع وانقراض بعضها يرجع إلى ظاهرة الصراع من أجل البقاء، فالبقاء يكون للنوع المكافح الأفضل. وأما النوع الخامل الذي لا يكافح من أجل البقاء فإنه يضمر، ثمّ يضمحل، ثمّ ينقرض.

٣- والعضو الذي يُهمَل إذ لا تبقى له وظيفة عمل في النوع الواحد، يضمر شيئًا فشيئًا، حتى يضمحلّ، ولا يبقى منه إلا أثر يدلُّ عليه، وقد لا يبقى له أي أثر.

كانت هذه هي الداروينية في عالم الأحياء، ثُمّ عُمّمت حتى شملت الوجود المادي كله، من الغاز السديمي الأول حتى المجرات فالكواكب، فالمواد الصالحة لظهور الحياة، فالنبات، فالحيوانات، فالنبات، فالحيوان، وأمسى التطور مذهبًا.

وقد أجرى الداروينيون تنقيحات وتعديلات في آراء داروين من بعده، وحشدوا لفكرة التطور الطبيعي في الأحياء أسانيد ترجع كلها إلى ثلاثة عناصر:

١- وجود التشابه في النباء الجسمي لدى الكائنات الحية.

٢- تأخر ظهور بعض الأنواع عن بعض.

٣- وجود زوائد في بعض الأحياء ليس لها وظيفة حاليًا، فوجودها ينبئ عن أنها كانت في أزمان غابرة ذات وظيفة، فلما أهملت ضمرت، وما بقي منها دال عليها، كالزائدة الدودية في أمعاء الإنسان.

ورأى الملاحدة وأصحاب الفكر المادي في آراء "داروين" أساسًا يمكن أن يدعم مذهبهم، فاتخذوها أساسًا، وأخذوا يروجون لها في ميادين العلم، **ويعتبرونها "نظرية" مع أنها لا ترقي في سلم البحث العلمي عن كونها "فرضية".**

وبعد أن أطلقوا عليها زورًا وتزييفًا عنوان "نظرية" أضافوا إليها فكرة جديدة، وهي أن نظرية التطور قادرة على تفسير نشأة الخلق، ونشأة الحياة، من مادّة الكون الأولى التي هي سديم غازي، أي سحابة غازية مؤلفة من أدنى الغازات تركيبًا، وأن هذا التطور قد كان تطورًا ذاتيًا، وليس ذا حاجة إلى تدخل خالق ذي قدرة وعلم وحكمة، فالطور بطبيعته الذاتية قد أجرى هذه التغييرات العظيمة التي نشاهدها في الكون وفي أنفسنا.

وانطلقت الأجهزة اليهودية العالمية ضمن خطط مرسومة، تروّج لهذه النظرية المدّعاة، في أسواق العلم، وفي ميادين الثقافة، وفي أجهزة الإعلام المختلفة، وتمجّد بها وبواضعها داروين، وترفعه إلى درجة غير عادية.

الرأي العلمي الأخير في مذهب التطور:

يرى جمهور أهل البحث العلمي المعاصرين ، والمشتغلين بعلم الأحياء، أن ما يسمى بنظرية التطور لا يرقى إلى مستوى "النظرية". بل هو لدى التحقيق لا يزال في مستوى "الفرضية".

وذلك لأنه لم يوجَد حتى اليوم أيُّ دليل واقعي مشاهد ولو معمليًا يرجّح صحّة الفرضيّة، ولو بمثال واحد من الأمثلة التي يصح الاعتماد عليها، كأساسٍ للتطور المقرر في النظرية المدعاة أو المتخيلة.

يقول "سير آرثر كيث" في مقالٍ له جاء في كتاب "العلم أسراره وخفاياه" بعنوان: (داروين و"أصل الأنواع"): « ويقرر بعض النقاد الحديثين للانتخاب الطبيعي، بأنه لا حول ولا قوة في إحداث صورة جديدة من النبات أو الحيوان ».

وذكر عن بعض النقاد أن كيفية حدوث التطور، أو آلية التطور الموصوفة في كتاب "أصل الأنواع" لداروين، قد تكون كلها خاطئة. ثمّ قال: « وإذا كان حقيقة كذلك، فقد يصبح "أصل الأنواع" غير متمشّ مع الزمن إطلاقًا ».

لكن "سير آرثر كيث" من الذين يتمسكون بمذهب النشوء والارتقاء، وهو مذهب التطور الذاتي، على الرغم من أنه غير ثابت علميًا، وعلى الرغم من أنه لا سبيل إلى إثباته بالبرهان. وذلك لأنه لا خيار له إذا لم يأخذ بمذهب التطور الذاتي، إلا أن يؤمن بالخلق الرباني الخاص المباشر، وهو غير مستعد لهذا الإيمان، بعد أن اتخذ لنفسه الإلحاد مذهبًا وعقيدة، لذلك فهو يقول في مكان آخر:

« إنّ نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميًا، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها إلا أن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص المباشر، وهذا لا يمكن حتى التفكير فيه ».

موضوعات مذهب التطوّر وموقف الإسلام منها:

يتناول مذهب التطوّر ثلاث موضوعات:

الموضوع الأول: تطوّر المادة غير الحية من السديم الغازي، حتى تكوّنت النجوم والكواكب.

الموضوع الثاني: كيف دبّت الحياة في المادة؟ أو كيف تطورت المادة حتى كانت فيها كائنات ذوات حياة؟

الموضوع الثالث: كيف وجدت أنواع الأحياء؟ أو كيف تطور بعضها من بعض في سلسلة مرتقية صاعدة، حتى بلغت قمة التطور عند الإنسان؟

الموضوع الأول: تطوّر المادة غير الحية من السديم الغازي، حتى تكوّنت النجوم والكواكب.

أولًا: إنْ كان التطوّر المدعى مقرونًا باعتقاد أن هذا التطور معتمد على خطة رسمها الخالق عزّ وجلّ، فهو سنة من سننه، ويتم الأمر بخلقه، فأمر ادعائه سهل، ولا ينبني عليه مناقضة لقضية من قضايا الدين الحق.

والمنهج السليم يحتّم علينا أن نترك هذه القضية للبحث العلمي، إذ ليس لدينا في المفاهيم الإسلامية ما يتعارض معها، بل قد نجد ما يلتقي معها نوع لقاء، مثل كون السماء في أول أمرها دخانًا، ومثل كون عرش الرحمن أول الأمر على الماء، ومثل تكامل عملية خلق السماوات والأرض، وهي أيام لا ندري مقاديرها، فهي على كل حال ستّ أحقاب زمنية.

على أن الموضوع لا يعدو من وجهة نظر العلم الصحيح أن يكون افتراضًا نظريًا فكريًا، قد تدلّ عليه بعض الأمارات التي تسمح بالتخمين، ولا تسمح بوضع نظرية جازمة.

ثانيًا: وإن كان التطور المدعى مرادًا منه التطور الذاتي، أي الذي لا يخضع لخطة خالق عليم حكيم قادر، فهو أمر مرفوض حتمًا، علميًا، ودينيًا، وفلسفيًا.

وذلك لأنه لا يسمح التطور الذاتي، لو أمكن أن يوجد، بإحداث هذه المتقنات العجيبة المترابطة في الكون كله، وليس أمام مدعي التطور الذات إلا ادعاء أن هذا الإتقان قد تم على سبيل المصادفة.

وقد أثبت الباحثون الرياضيون وغيرهم أن مثل هذا الإتقان الكوني العجيب من المستحيل أن يكون بالمصادفة، وأقوالهم في هذا كثيرة.

فالمصادفة في أحداث التطور الكوني المدّعى مرفوضة علميًا ورياضيًا وواقعيًا، مهما تهرب الماديون من مضايق البراهين العقلية والعلمية، لافتراضات الأزمان السحيقة التي يمكن أن تسمح بمصادفة تصنع متقنًا ما.

يقول "جون أدولف بوهلر": « عندما يطبّق الإنسان قوانين المصادفة لمعرفة مدى احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر الطبيعية، مثل تكوين جُزَيْءٍ واحد من جزئيات البروتين من العناصر التي تدخل في تركيبه، فإننا نجد أن عمر الأرض كله لا يكفي لحدوث هذه الظاهرة ».

الموضوع الثاني: كيف دبّت الحياة في المادة؟ أو كيف تطورت المادة حتى كانت فيها كائنات ذوات حياة؟

إن النصوص الدينية تكشف لنا أن الحياة سر من أسرار الخالق، ونفخة ربّانية روحيّة في المادة. فالحياة ليست نتاج المادة، بل المادّ وعاء لها. لقد خلق الله جسم آدم من الطين، ولمّا سواه نفخ فيه من روحه، فصار إنسانًا حيًا، بعد أن كان مادة ميتة.

وبعد أن يعلق الجنين في رحم أمّه، يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يُرسَل إليه الملَك فيُنفخ فيه الروح.

وعندئذ تدبّ فيه الحياة الإنسانية.

وحين أراد الله أن يخرق سنته في خلق عيسى عليه السلام من أم بدون لقاح أب، أرسل إلى أمه مريم الملك، فتمثل لها بشرًا سويًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم: ١٧ – ١٩). وتم تكوين الغلام في بطنها بنفخة كان بها إنسانًا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ (التحريم: ١٢).

وحين أعطى الله عيسى عليه السلام معجزة إحياء ما يصنع من الطين على هيئة الطير جعل الله سبحانه وتعالى في نفخته فيها سرّ الحياة.

مزاعم المادّيين:

ويزعم أصحاب الفكر المادي أن الحياة من ظواهر التطور في المادة، فالحياة وما يتبعها من صفات الإحساس والإدراك والفكر والعواطف والانفعالات كلها من ثمرات تطوّر المادة، وصفات من صفات المادّة، متى تركّبت بشكل معقّد كالشكل الذي ظهرت به الأحياء.

ولا يقدم المادّيون لإثبات هذا الادعاء أي دليل عقلي أو علمي، لأنهم لا يملكون شيئًا من ذلك، ولم يستطيعوا بعد كل الجهود التي بذلوها أن يقدّموا أي دليل علمي. وما قدموه مجرّد تكهُّن تخيُّلي، ورغبات يريدون أن يكون الواقع على وفقها، ولكن الحقّ والواقع لا تصنعه رغبات الناس وأهواؤهم.

وهذا الادعاء الذي ادعاه الماديون مرفوض علميًا، من قبل علماء الأحياء أنفسهم. وذلك لأن القرار الذي انتهى إليه علماء الأحياء بعد تجارب كثيرة ومتنوعة، يجزم بأن المادة الميتة لا يمكن أن تتحول ذاتيًا إلى مادة حية، وأن الحي لا بد أن يتولد عن حي أو يُشتق من حي.

ولم يستطع العلماء الماديون المتفرغون باهتمام شديد في الشرق والغرب لتخليق أدنى خليه حية وأقلها تركيبًا وتعقيدًا، أن يتوصلوا إلى تخليق مثل هذه الخلية من المادة، دون أن يأتي التخليق من حياة سابقة لها.

فالقرار العملي الواقعيّ الأخير: إن الحياة لا تتولد إلا من حياة.

كما كان قد قرّر ذلك من قبلُ، العلماءُ المؤمنون بالخلق الربّاني من علماء الأحياء، مثل: "أغاسيز". وأخيرًا العالم الفرنسي الشهير "باستور" مكتشف جراثيم الأمراض.

ومع ذلك فقد ظل الماديون يرغبون في اعتقاد أن الحياة ظهرت نتيجة تطور المادة تطورًا ذاتيًا، واعتبروا ذلك اعتقادًا فلسفيًا، لأنه لا بديل بعد رفض هذا الاحتمال إلا الإيمان بالخلق الخاص المباشر، وهذا أمر يرفضونه، لأنهم لا يريدون الإيمان بخالق غيبي لا يشاهدونه. هكذا اعتباطًا من غير دليل، على الرغم من أنهم يؤمنون بغيبيات كثيرة يستنتجونها استنتاجًا نظريًا فلسفيًا، دون أن يكون لها شواهد من الواقع المشاهد.

وحين يؤمنون بغيبيات عن حواسّهم وأجهزتهم تثبتها لهم استنتاجاتهم النظرية، كصفات الذرة وخصائصها، نجدهم ينكرون على أصحاب الاستنتاجات الفكرية النظرية العقلية، ما توصلهم إليه استنتاجاتهم المتعلقة بغيبيات دينية، حول الخالق عزّ وجلّ وصفاته العظيمة.

هذا منهم تناقض مع أنفسهم، يؤمنون بسلامة الاستنتاج العقلي حينًا، ويجحدونه وينكرون على من يستند إليه حينًا آخر.

والمتتبعون للماديين في مجالات العلوم، وفي مجالات الحياة المختلفة، يلاحظون أن الماديين لا ينفكون عن الاعتماد على الاستنتاجات الذهنية العقلية، بل يسرفون أحيانًا إسرافًا شديدًا في الاعتماد عليها، كالاستنتاجات السياسية التي تمسُّ أشخاصهم ومبادئهم ومذاهبهم ومنظماتهم الحزبيّة والإدارية.

مقولة من العلماء الطبيعيين حول النشوء الذاتي:

جاء في كتاب "التطور عملياته ونتائجه" ما يلي: « لم تعد نظرية النشوء الذاتي تحظى باحترام البيولوجيين، بعد عمل "ريدي" و"سبالنزاي" ».

ولكن اكتشاف البكتيريا غيّر ذلك، فهذه كائنات حيّة أبسط مما كان يتصوّر فيما مضى، والبكتيريا موجودة في كل مكان، وكان من الصعب جدًا أن لا توجد في أي وسط مناسب لنموها. وقد كان احتمال حدوثها ذاتيًا داخل أي وسط عضوي فكرة كثير من المعضدين المناصرين. (أي: لفكرة النشوء الذاتي).

ولكن تجارب "باستور" المشهورة قد نقضت ذلك تمامًا، فقد حفظ حساءً مغليًا في إناء مقفل لا يدخل فيه الهواء إلا من خلال أنبوبة شعرية ملتوية، لتكون بمثابة مصيدة للجزيئات الصلبة، وبذلك كان الحساء معرضًا للتأكسد لوصول الهواء إليه، ولكن لم تظهر فيه بكتيريا (لأنها علقت في الأنبوبة ولم تصل إليه، فكانت بمثابة مصفاة لها).

ولهذا كان من الواضح أن الهواء الحامل للبكتيريا هو الذي يصيب الحساء المعرّض، وأن البكتيريا نفسها قد نشأت فقط من البكتيريا التي سبق وجودها. وقد كانت هذه هي الضربة القاضية على فكرة النشوء الذاتي للكائنات المعقدة ».

الموضوع الثالث: كيف وجدت أنواع الأحياء؟ أو كيف تطور بعضها من بعض في سلسلة مرتقية صاعدة، حتى بلغت قمة التطور عند الإنسان؟

لقد درس "داروين" ومَن جاء بعده من الذين نّقحوا آراءه أنواع الأحياء، ما كان منها حيًا وقت الدراسة، وما جمعوه من الحفريات التي قاموا بها، وما شهدوه من دفائن القرون الأولى في الصخور والكهوف، وما جمعوه من مخلفات الأحياء في الرمال، وبقايا السيول القديمة، وما استخرجوه من محفوظات الثلوج المتراكمة من أزمان قديمة، فانتهوا إلى حقائق وصفية بَنَوْا عليها تفسيرات احتمالية تخمينيّة.

وأهم الحقائق الوصفية التي توصّلوا إليها ما يلي:

١- وجود التشابه في خطّة بناء الأجسام، وفي سلوك الكائن الحي.

٢- وجود بعض زوائد في بعض الأجسام، كالزائدة الدودية عند الإنسان، دون أن يكون لها وظيفة في جسم الإنسان حاليًا، كما بدا لهم، وكاستطالة سلسلة الظهر السفلى عند بعض الناس استطالة تشبه بقايا ذيلٍ تقاصر، فهو كما بدا لهم في طريقه إلى الزوال.

٣- تأخر وجود بعض أنواع الأحياء على سطح الأرض عن بعض.

فمن ظاهر التشابه، ووجود بعض الزوائد التي ليس لها وظائف حاليًا كما بدا لهم، وتأخر وجود بعض الأحياء عن بعض وفق حساب أعمار أقدم ما اكتشف من

أجسامها المدفونة ومتحجّراتها، استنتج "دارون" والذين نقّحوا فكرة التطور من بعده استنتاجًا فكريًا، أن الكائنات الحية تطوّرت تطورًا ذاتيًا تصاعديًا، من أدنى الكائنات الحية حتى الإنسان الذي هو أعلاها كمالًا.

وكانت "الأميبا" هي أدنى الكائنات الحية في التصور، ثمّ جاء التصحيح إلى "البكتيريا" التي هي أدنى من الأميبا بعد اكتشافها، ثمّ جاء التصحيح إلى "الفيروس" الذي هو أدنى من الباكتيريا بعد اكتشافه، فالفيروسات في نظرهم الآن تتوسط الحدّ الفاصل بين الحي وغير الحي.

لكن هذا الاستنتاج استنتاج احتماليٌّ نظري، وليس أمرًا علميًا مؤيدًا بشواهد من الواقع، إذ لم يلاحظ الباحثون في الطبيعة ولا في المختبرات حالة واحدة من حالات التطور المتخيّلة في الاستنتاج، لكنّ التخيل طرح ذلك على الأحقاب الزمنية الغابرة، وتخلّص من المطالبة بالشواهد من الواقع.

على أن التطور لو ثبت علميًا بشواهد من الواقع في الطبيعة، فإنه لا يفيد أن التطور حدث ذاتيًا، بل النظرة الإيمانية القائمة على ملاحظة الحكمة في الخلق تقيم البرهان على أن خطة الخالق قد رتّبت عمليات الخلق وفق سنة التطور، كما رتبت عمليّة خلق الإنسان وفق أطواره حتى يكون نطفة، فجنينًا، فطفلًا، فيافعًا، فبالغًا أشده، فما وراء ذلك من أطوار.

ومن البَدهيّ أن التشابُه في الأنواع المختلفة لا يقتضي النسب بينها، ولا يستلزمه عقلًا، فالأمر يتوقف على ثبوت ذلك النسب بشكل واقعي، نعم قد يكون إحدى الأمارات الضعيفة.

وكذلك تأخر ظهور بعض الأنواع الراقية عن أنواع سابقة لها في الوجود، لا يقتضي أن السابق أبٌ أو جدٌ لما ظهر بعده، إذ الاحتمال الأقرب للتصور أن يكون مبدع النوع الأول قد أبدع بعده النوع الأرقى، ثمّ أبدع بعد ذلك الأرقى فالأرقى، ثمّ أبدع أخيرًا الإنسان.

وهذا ما نلاحظه في سلسلة المبتكرات والمخترعات الإنسانية، فاللاحق كثيرًا ما يكون وليد فكر المبدع ونتاج عمله، بالاستناد إلى ملاحظته للسابق، وليس ثمرة التطوير للسابق نفسه في واقع العمل، بحذف شيء منه وإضافة شيء إليه، فالعملية تكون عمليّة فكية، ويأتي التطبيق الواقعي غالبًا بناءً جديدًا.

ومهما يكن من أمر فالاحتمالان أمران متكافئان إمكانًا، بشرط ربط كلٍّ منهما بأنه مظهر لاختيار مدبّر خالق حكيم.

أما التطور الذاتي إلى الأكمل دون تدبير حكيم عليم قدير خالق، فهو أمرٌ مستحيل عقلًا، إذ الناقص لا ينتج الكامل في خطةٍ ثابتة، وهو بمثابة إنتاج العدم للوجود.

وإحالة الأمر على المصادفة إحالة على أمر مستحيل علميًا ورياضيًا في عمليات الخلق الكبرى.

وقد قرّر أصحاب فكرة التطور أزمانًا سحيقة لظهور الكائنات الحية المتطورة، ثمّ لظهور الإنسان الأول، واعتبروا هذه الأزمان كافية نظريًا لحدوث التطور.

إلا أن علماء الفيزياء والجيولوجيا قد أظهروا منذ عام (١٩٥٠م) وما بعده عدم صحة ما حدّده أصحاب مذهب التطور من أزمان سحيقة، فعمر الحياة في الأرض أقصر من تقديرهم بكثير، وعمر الأرض أيضًا أقل مما قدّروه بكثير، فما يلزم في رأيهم للتطور الذاتي من زمن غير متوافر في الواقع مطلقاً.

واعترف بذلك القائلون بالتطور أنفسهم، فقد جاء في مقالٍ بعنوان "نظرية التطوّر منقحة" بقلم "روث مور" بكتاب "العلم أسراره وخفاياه": « منذ عام (١٩٥٠م) والشواهد العلمية تشير بلا مهرب منه إلى **حقيقة واحدة، هي أن الإنسان لم يظهر سواء في الوقت أو بالطريقة التي يقول بها "داروين" وعلماء التطور الحديثون**، فلقد أظهر علماء الفيزياء والجيولوجيا منذ عام (١٩٥٠م) بوضوح أن العالم أقدم، وأن الإنسان أصغر سنًا كثيرًا عما اجترأ أي واحدٍ على تقديره من قبل ».

وأظهر من ذلك ما نشرته جريدة الشرق الأوسط في العدد "٣٣٢٨" بتاريخ ١٩جمادى الأولى ١٤٠٨هـ الموافق لـ٨/١/١٩٨٨م تحت عنوان "**العلم يثبت أصل الإنسان**" وقد جاء فيه ما يلي: « واشنطن - مكتب الشرق الأوسط: ضجّت الأوساط العلمية في الغرب، لا سيما في الولايات المتحدة، بنبأ الاكتشاف الذي توصل إليه فريق من العلماء الأمريكيين بعد نحو عشر سنوات من البحث والدراسة في علم الوراثة والجنيات، وقادهم البحث إلى اكتشاف أن الجينات الثابتة في كل النوع البشري يمكن تقفيها إلى امرأة واحدة (سماها فريق البحث: بايف، أو حواء) انحدر منها كل البشر، وكانت خصبة الولادة. وإليها تعود الجينات الثابتة عند كل البشر، والبالغة نحو خمسة آلاف جين.

حتى الاتحاد السوفييتي فإن الإدارة الشيوعية فيه قد أنفقت خلال ستين عامًا من الشيوعية ستين مليارًا حتى يثبتوا نظرية "إنجلز" القائلة: "الحياة ما هي إلا تفاعل كيميائي" على مخابر علوم الحياة، فكان قرار العلماء الباحثين في سنة "١٩٦٩م" الذي قدّموه إلى القادة السوفييت: « ليس للعلوم قدرة على إثبات أن الحياة نتيجة تفاعل كيميائي، وليس في مستطاع الوسائل العلمية إيجاد الحياة إلا عن طريق الخلايا الحية التي لا نستطيع أن نوجدها من المادة غير الحية، وكذلك النبات ».

وتلقّف هذا القرار الصادر عن العلماء السوفييت، علماء مخابر علوم الحياة في أمريكا، فدعوا إلى اجتماعٍ ضم الفريقين في أمريكا، وأعلنوا بيانًا مشتركًا جاء فيه ما يلي:

« العلم عاجز عن إيجاد الحياة ».

وأضافوا إليه بناءً على اقتراح الوفد السوفييتي:

« بل إن العلم عاجز عن أن يعرف إلا بعض مظاهر المادة، وليس الروح ».

لقد أثبت الباحثون من العلماء بعد جهد طويل ما ذكره الله ﷻ بقوله تَعَالَى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الإسراء: ٨٥).

إن فكرة التطور لو ثبتت علميًا فإننا لا نجد في الإسلام نصوصًا ترفضها، ما دام الأمر راجعًا إلى حكمة الله الخالق وتقديره، باستثناء خلق الإنسان الذي جاء في القرآن والسنة وصف صريح حول الطريقة التي تم بها خلقه، فهي طريقة ظاهرها ينافي أن يكون الإنسان متطورًا من سلسلة الحيوانات التي هي دونه في الخلق.

لكن يبدو أن من المتعذّر أن تَثبت فكرة التطور علميًا، فهي ستظل في دائرة الاحتمال الافتراضي.

على أن القرآن الكريم قد وجّه للسير في الأرض والبحث فيها لمعرفة كيف بدأ الله الخلق، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(العنكبوت: ٢٠).

ولا بدّ أن يكون هذا النظر هاديًا، إلى دلائل الإيمان بالله الخالق، لا إلى عكس قضية الإيمان.

أسئلة للملحدين أتباع داروين:

١- قلتم إن تطور الخلية الأحادية للمتعددة ثم للأحياء المختلفة؛ أمر افتراضي اعتمد على تفسير ظاهرة الموجود مع اكتشافات الحفريات ومعرفة تاريخها، فقلتم إن الخلايا الأحادية قد وُجدت قبل بليون عام أو أكثر، وظهرت اللافقاريات قبل "٥٠٠ - ٦٠٠" مليون سنة مع الديدان والحشرات، وبدأت الفقاريات في الظهور قبل ٤٥٠ مليون سنة ومثلها الأسماك، وظهرت الفقاريات البرية قبل ٣٥٠ مليون سنة، وظهرت الثديات قبل ١٨٠ مليون سنة والطيور قبل ١٣٥ مليون سنة، وأول إنسان قبل حوالي ٦ مليون سنة على حسب ما ذكرتم في نتائج حفرياتكم.

فهل رأيتم هذا التطوّر بأعينكم؟ بما أنه لم يسبق لأحد أن رأى عملية التطوّر هذه فعليًا من قبل ولا يمكن حتى إثبات أن هذه العملية تتم بشكل مستمر، فهي- بناءً على كلامكم - غير موجودة.

٢- حاليًا في عالم الحيوانات فقط يوجد حوالي أكثر من خمسة ملايين نوع. وبلا شك فإنّ الخلايا الأحادية مازالت موجودة حتى الآن كالبكتيريا من غير أن نرى لها

تطورًا، وهنالك من الأحياء ما هو موجود بصورته التي وجد بها في سحيق الزمان، فكيف يمكن أن نستنتج من غير برهان بأن الأنواع الأخيرة كانت نتاج تطور الأنواع الأولى بالطفرات والصدفة، مع تواجد الأحياء ذات الخلايا الواحدة حتى يومنا هذا؟.

٣- الداروينية وخَلْق الذباب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج: ٧٣).

خَلْقُ الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز سر الحياة فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل!

فلكل مَن يدّعي بأنه ليسَ هناك خالق أو أن هنالك طريقة للخلق غير الله ﷻ فليخلق ذبابة، ولنطبق ذلك على الداروينية:

- الذباب حشرة ولم يُوجَد أي تطور في الحشرات!
- الذبابة تتغذى على أنواع مختلفة ولها أشكال مختلفة.
- الذبابة ذكر وأنثى وتتناسل فكيف يفسر التطور ذلك!
- الذبابة حية تطير وتأكل وتتبرز وتموت فما سر ذلك؟

فهذه الحشرة الصغيرة وحدها تؤكد بأن لها خالقًا وأنها حجة لمن يدعي وجودها بالصدفة وحقًا قول المولى ﷻ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت: ٥٣).

سابعًا: كشف زيف المقولة الشيطانية: ومن خلق الله؟

يردد الملحدون مقولة الشيطان: « هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ » وقد أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ.

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: « اللهُ »، فَيَقُولُ: « فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ ». فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقْرَأْ: « آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ** ». (رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني، والأرنؤوط).

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ** » (رواه البخاري).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللهِ** ». (رواه مسلم).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ، فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: « اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ». ثُمَّ لْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ** ». (رواه أبو داود، وحسّنه الألباني).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: « دلت هذه الأحاديث الصحيحة على أنه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله: مَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما جاء في الأحاديث المذكورة، وخلاصتها أن يقول: « آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ». ثم يتفل عن يساره ثلاثا، ويستعيذ بالله من الشيطان، ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة.

وأعتقد أن من فعل ذلك طاعة لله ورسوله، مخلصًا في ذلك أنه لابد أن تذهب الوسوسة عنه، ويندحر شيطانه لقوله ﷺ: « فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ ».

وهذا التعليم النبوي الكريم أنفع وأقطع للوسوسة من المجادلة العقلية في هذه القضية، فإن المجادلة قلما تنفع في مثلها. ومن المؤسف أن أكثر الناس في غفلة عن هذا التعليم النبوي الكريم، فتنبهوا أيها المسلمون، وتعرفوا إلى سنة نبيكم ﷺ، واعملوا بها، فإن فيها شفاءكم وعزكم »[١].

وهذا العلاج السريع يقطع الشُبهة من أصلها لكي لا تفسد على المسلم تفكيره وإيمانه لو استرسل معها؛ لأن الناس يتفاوتون في عقولهم، وليسوا كلهم سيدرك بطلان هذه المقولة الشيطانية لو حللت له ونقضت، ولهذا يكتفى معه بهذا العلاج العاجل الذي يقيه المرض بإذن الله. أما أصحاب الشكوك والحيرة من أنصاف المتعلمين فيستخدم معهم أسلوب آخر يعري لهم هذه المقولة؛ لأنهم حتما لن يقتنعوا بالعلاج الأول الذي يتكئ على إيمان الشخص وفطرته.

إن التساؤل عن علة وجود المصدر الأول، حجة يوسوس بها الشيطان للإنسان، منذ بدأ الفكر الإلحادي يدبّ إلى أذهان بعض الناس. وهذه الحجة الشيطانية تزعم أن الإيمان بأن الله هو المصدر الأول للأشياء، والوقوف عنده، يساوي نظريًا وقوف الملحدين عند المادة الأولى للكون، التي يطلقون عليها اسم السديم، وتزعم أن كلا الفريقين لا يجد جوابًا على التساؤل عن علة وجود المصدر الأول، إلا أن يقول: لا أعرف إلا أن وجود هذا الأصل غير معلول، وتزعم أن الملحد اعترف بهذا قبل المؤمن بخطوة واحدة.

وبعد هذه المزاعم يخادع مطلقوها بأن إعلان الجهل والاعتراف به من متطلبات الأمانة الفكرية، حين لا توجد أدلة وشواهد وبراهين كافيات.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٢٣٦).

ولدى البحث المنطِقي الهادئ يتبين لكل ذي فكر صحيح، أن هذه الحجة ليست إلا مغالطة من المغالطات الفكرية، وهذه المغالطة قائمة على التسوية بين أمرين متباينين تباينًا كليًا، ولا يصح التسوية بينهما في الحكم.

وفيما يلي تعرية تامَّة لهذه المغالطة من كل التلبيسات التي سُترت بها.

إننا إذا وضعنا هذه المغالطة بعبارتها الصحيحة كانت كما يلي:

ما دام الموجود الأزلي الذي هو واجب الوجود عقلًا ولا يصح في حكم العقل عدمه بحالٍ من الأحوال غير معلول الوجود، فلمَ لا يكون الموجود الحادث غير معلول الوجود أيضًا؟!

إن كل ذي فكر صحيح سليم من الخلل، يعلم علم اليقين أنه لا يصح أن يقاس الحادث على القديم الأزلي الذي لا أول له، فلا يصح أن يشتركا بناءً على ذلك في حكم هو من خصائص أحدهما.

على هذه الطريقة من القياس الفاسد من أساسه صُنعت هذه المغالطة الجدلية.

أما أزلية الخالق، وعدم احتياج وجوده إلى علة، فبرهان ذلك يمكن إيجازه بما يلي:

إن العدم العام الشامل لكل شيء يمكن تصوره في الفكر، ولا يصح في منطق العقل أن يكون هو الأصل. لأنه لو كان هو الأصل لاستحال أن يوجد شيءٌ ما.

إذن: فلا بد أن يكون وجودُ موجودٍ ما، هو الأصل، ومن كان وجوده هو الأصل فإن وجوده لا يحتاج عقلًا لأية علة، بل وجوده واجب عقلًا، ولا يصح في العقل تصور عدمه، وأي تساؤلٍ عن علةٍ لوجوده لا يكون إلا على أساس اعتبار أن أصله العدم ثم وُجِد، وهذا يتناقض مع الإقرار باستحالة أن يكون العدم العام الشامل هو الأصل الكلي.

ومن كان وجوده واجبًا بالحتمية العقلية باعتبار أنه هو الأصل، فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتصف بصفات تستلزم أن يكون حادثًا.

أما ادعاء أصلية الوجود للكون بصفاته المتغيرة فهو ادعاء باطل، وذلك بموجب الأدلة التي تثبت أنه حادث وليس أزليًا.

إن هذا الكون يحمِل دائمًا وباستمرار صفات حدوثه، تشهد بهذه الحقيقة النظرات العقلية المستندة إلى المشاهدات الحسية، وتشهد بها البحوث العلمية المختلفة في كل مجال من مجالات المعرفة، والقوانين العلمية التي توصّل إليها العلماء الماديون.

وإذْ قد ثبت أن هذا الكون عالمٌ حادثٌ، له بداية وله نهاية، فلا بد له حتمًا من علة تسبب له هذا الحدوث، وتخرجه من العدم إلى الوجود، وذلك لاستحالة تحوّل العدم بنفسه إلى الوجود.

أما من لا يحمل في ذاته صفات تدل على حدوثه مطلقًا، وتقضي الضرورة العقلية بوجوده، فوجوده هو الأصل.

لذلك فهو لا يحتاج أصلًا إلى موجد يوجده، وكل تساؤلٍ عن سبب وجوده تساؤل باطلٌ بالحتمية العقلية، لأنه أزليٌ واجب الوجود، ولا يمكن أن يكون غير ذلك عقلًا، وليس حادثًا حتى يتساءل الفكر عن سبب وجوده.

وهنا نقول: لو كانت صفات الكون تقتضي أزليته، لقلنا فيه أيضًا كذلك. لكن صفات الكون المشاهدة المدروسة تثبت حدوثه.

يضاف إلى هذا أن مادة الكون الأولى عاجزة بطبيعتها عن المسيرة الارتقائية التي ترتقي بها ذاتيًا إلى ظاهرة الحياة، فالحياة الراقية في الإنسان.

بهذا تنكشف للبصير المنصف المغالطة الشيطانية التي يوسوس بها الشيطان، وتخطر على أذهان الناس، بمقتضى قصور رؤيتهم عن استيعاب كل جوانب الموضوع وزواياه، فهم بسبب هذا القصور في الرؤية يتساءلون: وما علة وجود الله.

إنها مغالطة تريد أن تجعل الأزلي حادثًا، وأن تجعل واجب الوجود عقلًا ممكن الوجود عقلًا وأن الأصل فيه العدم، ليتساءل الفكر عن علة وجوده.

أو تريد أن تُوهِمَ بأنَّ ما قامت الأدلة على حدوثه هو أزلي، أو هو واجب الوجود لذاته، لتُسَوِّي بين الحادث والأزلي في عدم الحاجة إلى علةٍ لوجوده.

وتريد هذه المغالطة أن تطمس الضرورة العقلية التي تقضي بأن الأصل هو وجود موجودٍ أزلي، وهذا الموجود الأزلي لا يصح عقلًا أن يُسأل عن علةٍ لوجوده مطلقًا، لتَنَافِي هذا السؤال مع منطق العقل، وهذا الموجود الأزلي لا يمكن أن تكون له صفات تستلزم حدوثه.

أما الكون فصفاته تستلزم بالبراهين العقلية والأدلة العلمية المختلفة حدوثه، لذلك كان لا بد من السؤال عن علةٍ لوجوده، ولا تكون هذه العلة إلا مِن قِبَل الموجود الأزلي، الذي يقضي منطق العقل بضرورة وجوده، خارجًا عن حدود الزمن ذي البداية والنهاية، وخلاف ذلك مستحيل عقلًا. والحدوث من العدم العام الشامل، دون سببٍ من موجود سابق له مستحيلٌ عقلًا.

لو افترضنا (جدلًا):

ولو افترضنا (جدلًا) أيها الملحدون أن أحدًا خلَق الله، فستقولون: من خلقه هو أيضًا؟ ثم من خلق الآخر ثم الآخر... وهكذا.

ولكن إلى متى؟ إلى ما لا نهاية؟ فلابد أن يدرك العاقل وجود خالق لم يخلقه أحد، أوَّل ليس قبله شيء، وهذا فى عقيدتنا هو الله ﷻ الذى خلق كل شىء ولم يخلقه شىءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(الإخلاص: ١ - ٤).

إذا قلنا أن كل شيء له مصدر، و كل مصدر له مصدر، ومن ثم فالمصدر هذا له أيضًا مصدر فسنبقى في علاقة إلى ما لا نهاية!! إذًا منطقيًّا فالتسلسل بهذا الشكل لابد له أن يمتنع؛ بمعنى أنه حتمًا سنصل إلى مصدر ليس له مصدر. وهذا ما يمكن أن نسميه المصدر الأول.

وهذا الأول يجب أن يكون قبل بداية الزمان؛ لأنه لو كان بعد الزمان فيجب أن يكون له هو بداية، وكذلك هو أيضًا قبل المكان لأنه لو كان المكان يسبقه أيضًا فيجب أن يكون له بداية لأن المكان سبقه.

فبدون الليل والنهار والكواكب والنجوم والشمس والقمر لا يوجد أيام ولا شهور ولا سنوات وليس هنالك وقت وبالتالي فليس ثمة زمان؛ فالزمان والمكان بدَءا مع بعضهما، والله ﷻ خالق الزمان والمكان وهو الأول غير المحدث بالزمان ولا المكان.

عندما يقال لك أن الله تعالى موجود قبل الزمان والمكان فهذا شيء ليس له مثيل في أذهاننا وعقولنا أو في حياتنا نقيس عليه. وها هنا مثالٌ قد يُقرّب ذلك:

لو استطعنا بطريقة ما الوصول إلى جنين في بطن أمه وهو في شهره التاسع الأخير وقبل ولادته بأيام؛ ثم أخبرناه وقلنا له: أنك بعد أيام سوف تخرج من هذا السائل الذي أنت تعيش فيه وتجد أطفالًا يشبهونك، وسوف تأكل من هذه الفتحة التي في فمك وليس من الحبل السري الذي تعودت أن تأكل منه طوال هذه الأشهر وسوف تجد مخلوقًا جميلًا يرعاك ويهتم بك اسمه الأم أو أمك.

ففي هذه الحالة لن يصدّق كل هذا لأنه لا يستطيع أن يتصور فهو في عالم آخر وما نتحدث عنه ليس في مخيلته وليس له مثيل عنده؛ بل هو أصلًا سوف ينكر وجود أمه وهو موجود في جوفها.

إن الإجابة عمن خلق الله يمكن تَعَقُّلها، فالإيمان منطلِق من التَعَقُّل وليس بالضرورة التصوُّر.

ثامنًا: كشف زيف محاولة الملحدين التشكيك في أدلة المؤمنين بالله ﷻ:

يحاول الملحدون التشكيك في أدلة المؤمنين بالله، وهي من القوة والكثرة بحالة لا تسمح لعاقل أو ذي فكرٍ منصف بأن يشكك فيها.

وها هنا موجزٌ سريعٌ لنماذج من هذه الأدلة، التي يمكن أن تُكتب في تفصيلها مجلدات صخمة، ولكل فريق من العلماء المؤمنين بالله ﷻ عدة طرق لإثبات وجوده، وهذه الطرق قد أوصلتهم إلى الإيمان الكامل به، القائم على اقتناع كافٍ بهذه الحقيقة،

حتى كتب علماء الثورة العلمية المعاصرة ألوف البحوث المشتملة على الأدلة التي هدت أصحابها إلى أن وجود الله ﷻ حقيقة لا شك فيها.

وفيما يلي عرض موجز سريع لهذه الأدلة:

البرهان الأول: أثبت العلم وأثبتت الملاحظة أن الكون وحوداثه المستمرة، أمورٌ لم تكُن ثم كانت، وكل شيءٍ لم يكن شيئًا مذكورًا ثم كان لا بد له حتمًا من مُوجِدٍ أوجده، ولا بد أن يتصف هذا المُوجِد بالصفات التي تؤهله لعمليات الإيجاد، ولا بد أن يكون أزليًا غير حادث، وإلا احتاج هو أيضًا إلى موجد يوجده. (وهذا هو دليل السببية).

البرهان الثاني: أثبت العلم وأثبتت الملاحظة المستمرة أن كل ما في هذا الكون أمرٌ متقن، وإتقانه ليس من ذاته حتمًا، إذن فلا بد له من متقن أتقنه.

ومئات الألوف من الظواهر الكونية التي تعرض نفسها للبحث، حتى ينكشف للباحثين جوانب مدهشة من إتقانها، الأمر الذي يدل على أن متقنًا محجوبًا عن الأنظار، يتقن الأشياء بعلمه وحكمته، ويصرف أحداثها بقدرته. (وهذا هو دليل الإتقان في الكون).

وفي هذا المجال يكتب العلماء المنصفون ألوف المقالات المستفيضة المثبتة لهذه الحقيقة.

البرهان الثالث: تثبت الملاحظة المستمرة في أشياء هذا الكون أن العناية إحدى الصفات البارزة فهيا. فما من حاجة لحي من الأحياء في الكون إلا لها ما يسدها، ويلبي مطالبها على أكمل وضع وأتقنه.

فما من حاجة لدى نبات أو حيوان إلى غذاء إلا لها الغذاء الملائم لها على أحسن وجه وأتقنه.

وما من حاجة لدى ذي حياة إلى كساء يدفع عنه الحر والبرد والضر، إلا لها ما يحقق مطالبها على أحسن وجه وأتقنه.

وما من نزعة إلى رفاهية وترف واستمتاعٍ بجمال إلا لها في الكون ما يُلبّي رغبتها، سواءً للسائلين.

وما من داء إلا له دواء، وما من قوة إلا لها ضد مكافئ، ما لم يكن للقضاء والقدر في الحكمة العامة مرادٌ ما.

إلى غير ذلك من أمور كثيرة لا تحصى. وكل هذا من العناية، والعناية لا تكون إلا صفة لذي علم وحكمة ورحمة، وهذه صفات عليم حكيم رحيم، وهو الله عز وجل. (وهذا هو دليل العناية).

والعناية تستلزم الإتقان في الصنع، فكل مشمولٍ بالعناية مصحوب بالإتقان. ولكن قد يكون الإتقان وحده ظاهرة لا تقترن بالعناية، حين لا يكون ذو حاجة إلى العناية موجودًا. فالكون المادي كله متقن، ولو كان في معزل عن مخلوقٍ حيٍّ يحتاج إلى العناية.

البرهان الرابع:

يثبت برهان العقل أنه لا يوجد شيء في هذا الكون هو واجب الوجود لذاته، بل كلُّ ما فيه هو من الأمور الممكنة، التي لا يرى العقل مانعًا من أن تكون على صورة أخرى غير الصورة التي هو عليها.

وكل أمرٍ ممكن عقلًا فالأصل أنه كان معدومًا، ولم يوجد في الواقع إلا بمرجح رجّح وجوده ضد الإمكانات الأخرى.

ولا بد أن يكون هذا المرجح لأوائل الممكنات وجودًا واجب الوجود لذاته، وهذا لا يكون من الكون، لأن الكون كله وكل ما فيه أمور ممكنة غير واجبة الوجود عقلًا. (وهذا هو دليل الإمكان في الكون).

البرهان الخامس:

الإنسان أكمل حادث موجود في هذا الكون، بحسب ما نلاحظ ونشاهد من موجودات. والإنسان لم يخلق نفسه حتمًا، ولم يخلق أبواه، وأي شيء دونه لا يستطيع أن يخلقه، لأنه فاقد لكمالاته، وفاقد الشيء لا يعطيه.

إذن: فلا بد من موجود هو أكمل من الإنسان، يملك أن يخلُق في الإنسان صفات العلم والإرادة الحرة، وسائر الصفات النفسية، بعد مَنْحِه صفة الحياة.

بل لا بد أن يكون هذا الخالق ذروة الكمال كله.

ويمكن أن نسمي هذا (دليل الكمال).

البرهان السادس:

من الملاحظ في أحداث تاريخ الإنسان، أن مظاهر الجزاء العادل للأمم من السنن الثابتة في الكون. والجزاء العادل لا يكون من مادة صماء عمياء لا تعلم من أحداث الناس ونياتهم شيئًا.

إذن: فلا بد من موجود عظيم عليم يرقب أعمال الناس، ويعلم نياتهم ومقاصدهم، ويجازيهم بعدله. وهذه الصفات لا بد أن تكون صفات موجودٍ ليس جزءًا من الكون المدروس، ولا مشبها له، لأن شيئًا منه لا يصلح لمثل هذه الصفات.

وشواهد مظاهر الجزاء العادل الذي ليس له سبب إنساني ظاهر كثيرة في تاريخ الناس.

وهذا دليل (ظاهرة العدل).

البرهان السابع:

الروح سر غير مادي من أسرار هذا الكون، وهذه الروح متى وجدت في المادة صارت المادة حية. ولا يوجد واحد في الأحياء يعرف روح نفسه، أو يملك نفخها في المادة، أو يملك تثبيتها إذا جاء أجل مفارقتها لجسدها. إذن: فلا بد من موجودٍ أعلى من المادة، ومن عالم الأرواح التي لا تملك لأنفسها شيئًا، وهذا الموجود الأعلى هو الذي ينفخها في المادة فتكون حية، ويقبضها من المادة ميتة لا حياة فيها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(الأنعام: ١٨).

وهذا دليل (ظاهرة الروح).

البرهان الثامن: دليل الإلزام العقلي بين الوجود والعدم، وخلاصته:

لا بد أن يكون الوجود هو الأصل، وإلا لم يوجد شيءٌ البتة، لأن العدم المطلق الشامل لا يمكن أن يتحول بنفسه إلى الوجود، ولا يمكن أن يوجِدَ شيئًا غيره.

وبما أن الوجود هو الأصل فيجب أن يكون للموجود الذي هو الأصل الكمال المطلق، ويجب أن يكون كل وصف فيه واجب الوجود.

لكننا في كون ليس لعناصره صفات الكمال المطلق،إذن: فالموجود ذو الكمال المطلق غير هذا الكون، وهو الذي خلق هذا الكون، وأودع فيه من الأدلة والشواهد ما يدل عليه، ومنح الفكر للإنسان ليمتحنه في قضية الإيمان بخالقه.

هذه البراهين الأصول يمكن أن تكتب حولها تفصيلات وبحوث مستفيضة تملأ مجلدات.

فموقف الفكر الإيماني موقف من يعرض براهينه وأدلته العقلية والعلمية بقوة، ويستطيع أن يجادل بها، ويُقنِع ويُسكِت كل منصف طالب معرفة الحق، غير مغالط ولا مراوغ ولا كذاب. بخلاف موقف الفكر الإلحادي في كل ذلك.

عقوبة العَذابْ النّفسِيّ للمُلْحِدينَ

إضافة إلى العقوبات الجسدية المعجلة التي قد يتعرض لها الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، في الحياة الدنيا، توجد عقوبات نفسية نازلة بهم لا محالة، وهي نتائج لازمة للكفر بالله واليوم الآخر، تقتضيها سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

وهذه العقوبات النفسية تشتد كلما اشتد الكفر والإنكار والجحود.

وتوجد مقادير متفاوتة من هذه العقوبات النفسية لدى بعض المؤمنين، تتناسب مع مقادير ضعف إيمانهم، أو غياب تصوراته ومفاهيمه عن أذهانهم وقلوبهم، بالنسيان، والغفلات، والانشغال الفكري والنفسي والقلبي، بأمور الحياة الدنيا.

وتظهر هذه العقوبات في صور مختلفات متفاوتات من صُور العذاب النفسي التاليات:

- القلق والاضطراب، والحرمان من طمأنينة النفس وراحة القلب.
- ضيق الصدر، والشعور بالسجن النفسي.
- تكدّر النفس.
- الغمّ والهمّ.
- الحزن والأسى.
- الرغبة في الانتحار تخلصًا من الحياة.
- إرادة الانتقام، والظمأ النفسي للتشفي من كل شيء في الوجود.
- مشاعر الكراهية والبغض.
- الخوف الشديد من الأوهام.
- الهلع الذي لا يهدأ، إذا أصابه الشر فهو جزوع، وإذا أصابه خير فهو منوع، يعاني آلام الخوف من زوال ما في ملكه من زهر الحياة الدنيا.
- شدة الحقد على كل من لا يطاوع في تحقيق الرغائب.

- الحسد الذي يكوي القلوب بناره.
- التمزق النفسي.
- الضجر من الحياة.
- جنون العظمة، ومشاعر آلام الحرمان مما يصبو إليه منها.
- العزلة النفسية التي تولدها الأنانية المفرطة، وهذه العزلة تقترن بالوحشية المضنية المملة.

إن كبار المفكرين الغربيين شهدوا على إفلاس المدنية الغربية، ضاربين الأمثلة على ذلك بشيوع الإلحاد الذى مزق النفوس بالشك والحيرة ودعا إلى الانتحار على الرغم من الرخاء المادى، وبالتفرقة العنصرية حتى فى أرقى الدول حضارةً، وبالانحلالى الخلقى والاستهتار بالقيم الذى منع استقرار الأسرة وأغرى بارتكاب الفواحش، وباستخدام العلم فى استنباط وسائل الدمار.

يقول (ماكس نوردو) الألمانى فى كتابه (الأكاذيب المتفق عليها فى مدنيتنا الراهنة): « الإنسانية دائبة وراء البحث عن العلم والسعادة، ولكنها لم تكن فى عهد من عهودها أبعد عن الارتياح إليها والغبطة بها مما هى عليه فى هذا العصر، فلو سألت أى إنسان أو أى بيت هل تحس بالسعادة لقال لك: « ابحث عنها بعيدًا عنا ».

وانظر الإلحاد وما فشا فيه من تشاؤم بلغ قمته فى فلسفة " شوبنهور" وتلميذه " هارتمان "، عقَّد النفس ودفع إلى الانتحار أو إدمان الخمور، ليس عند الغَنِىّ ارتياح واطمئنان، وليس عند الفقير صبر واحتمال، إن الناس يشكون اليوم من ضياع الأخلاق، فهل يسمح الإلحاد بها وقد أزال الإيمان من القلوب، وأزال معه المبادئ الصالحة؟

لقد كانت الإنسانية فى قديم الزمان تشكو مما نشكو منه من القلق وعدم الارتياح، ولكن الذى منعها أن تثور ثورتنا أنها كانت تستمد من إيمانها تعزيةً وسلامًا، والذى ينتظر سعادةً أخروية يَسْهُل عليه أن يصبر على شىء وقتى ويخفف وقعه عليه » اهـ.

وقد جاء في البيان القرآني ما يدُلُّ على صور العذاب النفسي الذي يعاني من آلامه الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وذلك في آيات كثيرة، منها:

١- قول الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام: ١٢٥).

الحرج: أشد الضيق. والغابة المكتظة التي لا يُستطاع الدخول إليها.

فالذين يرفضون الإيمان بالحق، ويُصرون على الإنكار والجحود، كبرًا أو رغبة بالفجور، لا يستجيبون لدعوة الإسلام، ويتعالون عن قبول الحق، فإذا بلغوا إلى مستوى توجيه إرادة الله بالحكم عليهم بالضلالة نزل في صدورهم بموجب سنة الله في خلقه داء الضيق والحرج.

والضيق والحرج في الصدور عذاب نفسي شبهه الله ﷻ بحالة الاختناق التي تصيب من يصَّعَّد في السماء رويدًا رويدًا، فيتناقص عليه الأكسجين شيئًا فشيئًا، لأن نسبة الأكسجين تتناقص طردًا مع الارتفاع في طبقات الجو، كما أن الضغط الجوي يتناقص، فيتسبب عن تناقصه انفجارٌ في الأوعية الدموية في أجسام الأحياء.

وهذا العذاب النفسي نتيجة طبيعية للكفر بالله واليوم الآخر، مع الإصرار والعناد، وهو عقوبة ربانية تأتي الكافرين المعاندين ضمن سنن الله الكونية. فهو بهذا الضيق والحرج يرفض الطاعة لله، والاستسلام لأوامره ونواهيه، ويشعرُ بآلام السجن النفسي الذي يرسف بقيوده، وهو مع ذلك يظل مستكبرًا متعاليًا يصَّعَّد إلى حيث ينتظره هلاكه.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كذلك الضيق والحرج الذي تعاني من آلامه صدور الذين أصروا على الكفر عنادًا واستكبارًا، يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون، وهذا الرجس يتراكم عليهم بسبب ارتكابهم للمعاصي التي نهى الله عنها في شريعته، والمعاصي أرجاس وقاذروات في السلوك، لها

عقوباتها الكثيرة، كل رجس منها بحسبه، وكل رجس منها له في سنة الله عقوبة من جنسه.

وبمقدار ضعف التصورات الإيمانية لدى المؤمنين ضعفاء الإيمان، يأتيهم نصيب من الضيق والحرج في الصدور، ويتراكم عليهم من الرجس بحسب معاصيهم.

٢- وقول الله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١).

هذه الآية تصور أحوال التمزق النفسي، والضياع، ومشاعر السقوط المنتكس إلى المهالك، ومشاعر القلق والذعر، وهي الأحوال التي تصيب المشركين على مقدار ما عندهم من شرك.

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، ورفعه بالتكوين إلى مرتبة عبوديته له، وحرره من العبودية لمن سواه، ولكن الله عز وجل ستر أفعاله في الخلق بأستار الظواهر السببية.

فإذا اختار الإنسان بإرادته الشرك بالله، فيجعل نفسه عبدًا لبعض ما خلق الله، أو لبعض من خلق الله، فقد أسقط بذلك نفسه من المرتبة العلية التي جعله الله فيها، وبهذا السقوط الهاوي إلى الحضيض لا بد أن ينتكس على رأسه، فيخر من مرتبة السمو، ويهوي إلى سحيق مهلك.

ومع هذا الوضع الذي يخر فيه، لا بد أن تتمزق نفسه من كل جانب، لأنه لا يجد الطمأنينة، ولا سعادة الحياة، بسبب ما هو فيه من شرك، ثم إذا انتهت حياته ووافته منيته، وجد نفسه مهمشًا محطمًا، وأقبل عليه ما هو أدهى وأمر، وهو حسابه وعذابه عند ربه.

والعقوبات النفسية للمشركين تأتي ضمن سنن الله في كونه، لأن الإشراك بالله مما يسبب هذه النتائج داخل الأنفس، ضمن قوانين الأسباب والمسببات.

وأنواع الشرك الخفي، التي هي من العوارض التي قد تمس قلوب المؤمنين ونفوسهم، تجلب لهم مقادير من هذه العقوبات النفسية، بحسب سبة الشرك الخفي الذي مسهم قوةً وضعفًا.

٣- وقول الله ﷻ لرسوله ﷺ في شأن المنافقين:﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾(التوبة:٨٥).

كم نلاحظ في الناس أهل أموال والأولاد يأتي إذا أتى ضمن سنن الله في كونه، وضمن مقاديره التي يصيب بها عباده.

وقد ينزل بعصاة المؤمنين المرائين نصيب من هذا العذاب، على مقدار معاصيهم ومراءاتهم، وتناقص إيمانهم، وبعدهم عن أسباب السعادة الحقيقة التي يتدفق بها الإيمان الخالص الكامل في قلوب المؤمنين الصادقين.

٤- وقول الله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾(طه: ١٢٤-١٢٦).

الضنك: هو في اللغة الضيق والشدة، فالمعيشة الضنك هي الضيقة الشديدة بمشكلاتها وهمومها، وبما تحيط به الأنفس والصدور من ضواغط مؤملة مضجرة، ولو كان الإنسان موسعًا عليه في الرزق، قد تكون عقوبة من الله نازلة بالإنسان، يحس بها وبآلامها في صدره ونفسه، بسبب إعراضه الإرادي عن ذكر الله، وانشغاله الكلي بمشكلات الحياة الدنيا وزينتها، ولعبها ولهوها، والتفاخر والتكاثر فيها، الأمر الذي أنساه آيات ربه، بعد أن أتته وعلمها، ولكنه انشغل بدنياه فأعرض عنها فنسيها.

ويعاقَب المعرض عن ذكر الله يوم القيامة عقابًا آخر، فيحشر أعمى، لأنه أغمض بصيرته في الدنيا، فتعامى عن تكرير مشاهدة آيات الله البينات، بعد أن أضاءت

له أنوارها فرآها، ثم نسيها نسيانًا كليًا بمرور الزمن، فكان كأنه أعمى لا يراها، فعوقب على ذلك يوم القيامة من جنس عمله، فحُشر أعمى.

ويبدو أن هذا المعرض هو من صنف المؤمنين، إلا أن معاصيه صرفته كليًا عن ذكر ربه.

أما من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه فله في الحياة الدنيا مثل هذا الضنك النفسي، وله في الآخرة عذاب أشد وأبقى، دل على هذا قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾.

شواهد من أقوال الملحدين:

لقد عبر عن العذاب النفسي الذي دلت عليه نصوص من القرآن الكريم، فريق كبير من فلاسفة الملحدين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

إنهم لما أبعدوا عن تصوراتهم قضايا الإيمان بالله واليوم الآخر، وأقفلوا على أفكارهم نوافذ الرؤية التي تطل على هذه القضايا، ورفضوا كل أدلة الإيمان بالغيبيات، وجدوا أنفسهم أمام مجموعة من مشكلات الحياة القاسية على النفوس، والمثيرة للقلق فيها.

ووقعوا بسبب ذلك تحت براثن تصور أن تصاريف الوجود كله تخضع لقوة عمياء تبني وتهدم، تتطور إلى الحياة، ثم تنتهي بالموت، فيها قسوة المصيبة، وعنف الكارثة، وهي خالية من أية عاطفة، وهي باردة تجاه مشاعر الناس آلامهم وآمالهم. وفيما يلي طائفة من أقوالهم التي عبروا فيها عن معاناتهم وشقائهم في هذه الحياة الدنيا:

١- مع الفيلسوف الملحد "برتراند رسل":

يرى الفيلسوف الإنكليزي الملحد "برتراند رسل" أن الرجل الحر لن يعبد قوى العالم الخارجي الغشوم، التي تغزوه بمتابعة هجومها، وليست تقصد من هجومها إلى غاية معلومة، فهي تقوض له كل ما يبني من دور، وكل ما يشيد من مُدُن، ولكنه سيعبُد ما في باطنه من قوىً خلاقة مبدعة، تلك القوى التي لا تني تجاهد وتكافح أسباب الفشل، والتي تمجّد آيات الجمال التي تدور في روائع الفن من نحتٍ وتصوير.

لقد رفض هذا الفيلسوف الملحد الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بحكمة الابتلاء في هذه الحياة الدنيا، فبدا له العالم الخارجي عنه قوى غاشمة لا هدف لها. وفي هذا التعبير عن القلق النفسي الذي يعاني منه، والخوف الدائم من قوى الكون العمياء.

وإذا قد رفض "رسل" الإيمان بالله، ورفض عبادته، فقد بدا له أن يركز نظره حول ذاته، فيعبد ما في داخله من قوى خلاقةٍ مبدعة، وهذا لون من مشاعر الربوبية التي يشعر بها المستكبرون.

إنه ترك عبادة الله الخالق المبدع المصور الذي أتقن كل شيء صنعًا، الربانية الصحيحة، ووضحت له تصوراتها على وفق التعاليم الإسلامية، لَانحلت عنده كل الإشكالات التي ولدت لديه الفلسفة المتشائمة، ولَتهدمت في نفسه كل الأبنية الوهمية، التي صورت له الحياة مجمع آلام ومتاعب وأحزان، وألوان من الشقاء لا محيص للإنسان عنها، ولا مناص له منها.

٢- مع الفيلسوف "نيتشه":

ورأى الفيلسوف الألماني الملحد "فريدريك نيتشه" الحياة صورة للشقاء والمعاناة، بعد أن ألغى من فكره التصورات الصحيحة عن الخالق، وحكمة الابتلاء، وأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى هي دار الخلود، وفيها الجزاء بالثواب والعقاب.

وبسبب ذلك زحفت إلى نفسه أفكاره الفلسفية حول القوة، والإنسان الأعلى متأثرًا بنموذجه الطبيعي الأناني المستكبر، وأعرب عما في حياة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر من شقاء نفسي في هذه الحياة القاسية، فقال: « إنني أعلم جيدَ العلم لماذا كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك؟ لأنه وحده هو الذي يعاني أشد العناء، فاضطره ذلك أن يخترع الضحك ».

٣- مع الفيلسوف "سبنسر":

ولمّا نظر الفيلسوف الإنكليزي "هربرت سبنسر" إلى الوجود بالمنظار المادي المحدود، الذي لا يفسر الحياة تفسير المؤمنين بالله واليوم الآخر، بدت له الحياة تافهة

حقيرة لا تستحق البقاء. لذلك ختم كتابه "المبادئ الأولى" بإعلان أن الحياة تافهة حقيرة لا تستحق البقاء.

ولمّا دنا من الموت نظر وراءه يستعرض حياته، فإذا هي في نظره أيام تنقضي كلها في كسب الشهرة الأدبية، دون أن يتمتع فيها بشيء من الحياة نفسها، فضحك من نفسه وسخر، وتمنى لو أنه قضى تلك الأيام الدابرة في حياة بسيطة سعيدة.

ولمّا حضرته الوفاة كان على يقين بأنه لم يعمل في حياته إلا عبثًا.

٤- مع الفيلسوف الملحد "شوبنهور":

ورأى فيلسوف التشاؤم الملحد "أرثر شوبنهور" أن طيبات الحياة كلها عبث، وأن العالم في كل ما يقصد إليه فاشل، وقال: « إننا لو تأملنا الحياة المصطخبة لَرأَيْنا الناس جميعا يشتغلون بما تتطلبه من حاجة وشقاء، ويستنفذون كل قواهم لكي يُرضُوا حاجات الحياة التي لا تنتهي، ولكي يمحو أحزانها الكثيرة ».

ورأى أن الموت مروع ومفزع.

وهكذا ظهرت له الحياة وجودًا مشحونًا بالألم والشقاء، ورآها عبثًا في عبث.

والسبب في تشاؤمه ومعاناته أنه عزل عن تصوّره قضية الإيمان بالله واليوم الآخر، ورفض حكمة الابتلاء في ظروف هذه الحياة الدنيا.

ولو أنه وضع في تصوّره هذه العناصر الإيمانية، وآمن بها، لعرف غاية الحياة الدنيا، وعرف مسؤوايته فيها، ولعاش راضيًا عن مقادير الله فيها، ساعيًا فيما يسعده ساعدة أبدية خالدة، مطمئنّ القلب، غير مبلبل الفكر، ولَكان دائمًا منفتح النفس بالأمل الذي يُفرِغُ على أفئدة المؤمنين السعادة والطمأنينة والرضا.

إنه في فلسفته أدرك أن "النرفانا" التي يؤمن بها البوذيون، وهي الحياة الآخرة، هي التي تتمثل بها الحكمة النهائية.

ولو أنه آمن بالحياة الآخرة، التي جاءت بالأنباء عنها الرسالات الربانية الصحيحة، ووضحت له تصوراتها على وفق التعاليم الإسلامية، لانحلت عنده كل

الإشكالات التي ولدت لديه الفلسفة المتشائمة، ولتهدمت في نفسه كل الأبنية الوهمية، التي صورت له الحياة مجمع آلام ومتاعب وأحزان، وألوان من الشقاء لا محيص للإنسان عنها، ولا مناص له منها.

٥- مع الفيلسوف اليهودي الملحد" سارتر":

والفيلسوف اليهودي الوجودي الملحد "جان بول سارتر" رأى الوجود كله من دوائر القلق والغثيان والمتاعب الآلام. وكتب في ذلك جملة قصص ومسرحيات ضَمَّنَها آراءه الفلسفية الوجودية التي تتقيأ المكاره، والتي أبرزه فيها تافهة حقيرة مخيفة مملوءة بالمشقيات، مشحونة بالآلام.

والسبب في كل ذلك كفره بالله واليوم الآخر، وجحوده الحق الذي أنزله الله في رسالاته للناس. بخلاف المؤمنين الذين يحيون حياة طيبة، بمشاعر الإيمان ومفاهيمه التي أنزلها الله في قرآنه.

إن مشاعر المؤمنين النفسية هي دائمًا مشاعر السعادة، والأمل، والطمأنينة، مهما كانوا في ظروف من الحياة قاسيات، وفي متاعب وآلام جسدية.

إن الإيمان بالله واليوم الآخر يفرغ على المؤمنين من الرضا والتسليم وطمأنينة القلب ما لا يكون في أي شيءٍ غيره على الإطلاق.

وهذا ما بينه الرسول ﷺ إذ يقول: « **عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** » (رواه مسلم).

الإلحاد والانتحار:

طالما تغنى الملحدون بإلحادهم وأفكارهم وحريتهم التي يتميزون بها عن غيرهم من المؤمنين "البسطاء" في نظرهم! وطالما أتحفونا بسيل من إبداعاتهم غير المنطقية يدَّعون فيها أنهم عقلانيون ويتعاملون مع الأمور بواقعية، وأنهم أكثر سعادة من غيرهم من المؤمنين الذين حكموا على أنفسهم بالانقياد للدين، وحرموا أنفسهم من ملذات الحياة!!

ولكن يأتي الواقع والعلم ليكَذّب هؤلاء ويفضح أساليبهم وكذبهم ويجعلهم عبرة لغيرهم وغيرهم وأنهم مجرد أدوات للشيطان يستخدمها في حربه مع المؤمنين التي سيخسرها بلا شك، وأن هؤلاء الملحدين اتخذوا الشيطان وليًّا لهم من دون الله، ليكونوا شركاء له في نار جهنم يوم القيامة.

ومن عظمة القرآن أنه لم يهمل الحديث عن هؤلاء بل وصفهم وصفًا دقيقا يليق بهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(البقرة: ٢٥٧).

فماذا نرجو من إنسان أخرجه الشيطان من النور إلى الظلمات؟ إنه مثل إنسان ميت يائس لا حياة فيه ولا استجابة لديه، وهذا ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة! الأبحاث العلمية تثبت أن الملحدين أكثر الناس يأسًا!

ففي دراسة حديثة تبين أن الملحدين هم أكثر الناس يأسًا وإحباطًا وتفككًا وتعاسة!! ولذلك فقد وجدوا أن أعلى نسبة للانتحار على الإطلاق كانت بين الملحدين واللادينيين، أي الذين لا ينتسبون لأي دين، بل يعيشون بلا هدف وبلا إيمان.

فقد أكدت الدراسات العلمية المتعلقة بالانتحار أن أكبر نسبة للانتحار كانت في الدول الأكثر إلحادًا وعلى رأسها السويد التي تتمتع بأعلى نسبة للإلحاد.

أما الدانمرك فكانت ثالث دولة في العالم من حيث نسبة الإلحاد حيث تصل نسبة (الملحدين واللادينيين) إلى ٨٠٪ .

جزء من الدراسة المتعلقة بتأثير التعاليم الدينية على الانتحار يؤكد أن هناك اختلافًا كبيرًا بين الدول الإسلامية وبين أي دولة أخرى من دول العالم بشكل ملفت للانتباه! هذه الدراسة قام بها الدكتور جوس مانويل والباحثة أليساندرا فليشمان، وهي دراسة علمية شاملة استندوا فيها إلى مراجع الأمم المتحدة الموثقة.

وتؤكد هذه الدراسة العلمية أن أعلى نسبة للانتحار كانت بين الملحدين، ثم البوذيين ثم المسيحيين ثم الهندوس وأخيرًا المسلمين الذين كادت نسبة الانتحار بينهم تقترب من الصفر.

يقول الدكتور جوس مانويل والباحثة أليساندرا فليشمان في بحثهما وبالحرف الواحد: « إن نسبة الانتحار في الدول الإسلامية (بخلاف كل الدول الأخرى) تكاد تقترب من الصفر (أقل من واحد بالألف)، وسبب ذلك أن الدين الإسلامي يحرم الانتحار بشدة ».

وفي دراسة أجراها باحثُون أمريكيون عام ٢٠٠٤ وتهدف لدراسة علاقة الانتحار بالدين، أُجريت بعناية فائقة، وتم اختيار عدد كبير من الأشخاص الذين حاولوا الانتحار أو انتحروا بالفعل، ومن خلال سؤال أقاربهم وأصدقائهم ودراسة الواقع الديني والاجتماعي لهم، تبين أن أكثر المنتحرين هم الملحدون (واللادينيون) فقد جاؤوا على رأس قائمة الذين قتلوا أنفسهم ليتخلَّصوا من حياتهم وتعاستهم!!

انتحار ملحد:

في مساء الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٠م وُجِدَت جثة إسماعيل أدهم طافية على مياه البحر المتوسط، وقد عثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين ويطلب إحراقها!!

فمن هو إسماعيل أدهم هذا الذي آثر هذه النهاية المروعة؟!

ولد بالإسكندرية وتعلم بها، ثم أحرز الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو عام ١٩٣١، وعين مدرسًا للرياضيات في جامعة سان بطرنسبرج، ثم انتقل إلى تركيا فكان مدرسًا للرياضيات في معهد أتاتورك! بأنقرة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦ فنشر كتابًا وضعه في (الإلحاد) وكتب في مجلاتها.

تأثر إسماعيل أدهم بالمد الشيوعي الإلحادي بسبب إدمانه قراءة إنتاج القوم حتى علقت أفكارهم بعقله وتمكنت من قلبه؛ فألف إثر ذلك رسالة سماها (لماذا أنا

ملحد؟)، وقد رد على رسالته هذه: الدكتور أحمد زكي أبو شادي برسالة عنوانها: (لماذا أنا مؤمن؟). ورد عليها: محمد فريد وجدي بمقالة عنوانها (لماذا هو ملحد؟).

انتحر إسماعيل مظهر وله من العمر تسعة وعشرون سنة؛ أي في ريعان شبابه، فكانت نهايته نهاية مأساوية لشاب كان شديد الذكاء واسع الثقافة، كان الأول على دفعته في البكالوريا، ثم حاز الدكتوراه وألّف مؤلفات كثيرة، ودرّس، وكان يحسن التحدث بست لغات، كل هذا وهو في هذا العمر الصغير إلا أنه بعدها اختار الكفر على الإيمان، وتدرج في مهاوي الضلال إلى أن وصل إلى آخر دركاته وهي الإلحاد - والعياذ بالله - لتكون خاتمته في تلكم الجثة الطافية على مياه البحر آيةً لمن خلفه من شباب الإسلام النابهين أن لا يغتروا بذكائهم ومواهبهم.

فيخوضوا - لأجلها - ذات اليمين وذات الشمال واثقين - زعموا! - من أنفسهم، معرضينها للفتن والإنسلاخ من الدين؛ إما بإدمانهم العكوف على كتب أهل الضلال والحيرة والشك كشأن أدهم، أو بمصاحبتهم وألفتهم لمن يشككهم في دينهم ويهوّن عليهم الطعن فيه أو التحير من بعض شرائعه، مجانبين في ذلك أهل الإيمان ساخرين من نصائحهم، متهمين لهم بالتحجر وضيق الأفق!

وإسماعيل أدهم مجرد أنموذج ينبغي أن نعتبر بحاله حيث ارتد على دبره بعدما جاءه الهدى واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإلا فإن الأمثلة من تاريخنا القديم والحديث معلومة مشهورة.

فمن القديم مثلًا: ابن الراوندي الملحد الذي انتهى حاله إلى أن ألف كتابًا سماه "الدامغ" يزعم أنه يدمغ به القرآن!! دمغه الله. فهذا الرجل ذكر المؤرخون عنه أنه كان في أول أمره حسن السيرة، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك. وذكروا - أيضًا - شيئًا من ذكائه وعقله، ولكن كما قال الذهبي في ترجمته: « لَعَنَ اللهُ الذَّكَاءَ بِلاَ إِيْمَانٍ، وَرَضِيَ اللهُ عَنِ البَلاَدَةِ مَعَ التَّقْوَى ».

والذي يهمنا من ترجمته هو قول الذهبي عنه: « كان يلازم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب قال: « إنما أريد أن أعرف أقوالهم ».

فكان نهاية هذا التهاون في الجلوس مع المبتدعة والملحدين أن أصبح واحدًا منهم، بل أجرأ على حرمات الله.

وفي المؤرخين من يجزم بأنه مَا طَالَ عُمُرُهُ، بَلْ عَاشَ سِتًّا وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً، مع ما انتهى إليه من المخازي. وقيل: صَلَبَه أحد السلاطين ببغداد.

ومن الحديث: الشاعر الكويتي فهد العسكر.

فقد ذكر صاحبه عبد الله الأنصاري عنه أنه شب متدينًا، يؤدي الصلاة مع والده في المسجد، ويحافظ على أدائها مع والده في كل فرض من الفروض، حتى صلاة الفجر، فقد كان والده يأخذه معه إلى المسجد وهو صغير السن؛ إلى أن تشرب الدين في عروقه ودمه. ثم أصبح مؤذنًا بعد ذلك.

لكنه بعدها - كما يقول صاحبه الأنصاري - أغرق في القراءة، واستمر في الإطلاع على مختلف الآراء والأفكار الأدبية والاجتماعية والسياسية إلى أن تحول تحولًا كليًا في تفكيره، وفي نظرته إلى الحياة، وإلى بعض التقاليد والعادات الموروثة؛ ثم أخذ يتعاطى الخمرة التي تغزل بها كثيرًا في شعره، وهكذا، إلى أن أصبح منعزلًا في أفكاره وآرائه عن بيئته المتدينة، وعن المجتمع المحافظ.

فنصحه أهله وأقاربه وزجروه عن هذا المسلك المهلك، ولكنه أبَى واستكبر، فهجروه واعتزلوه ونبذوه، فلزم العزلة والإنزواء ومعاقرة الخمر مع من هم على (مشربه) إلى أن أصابه الله بالعمى وهلك غير مأسوف عليه. وبعد وفاته لم يصل عليه أحدٌ من أهله، وقاموا بحرق ما وجدوا من أشعاره التي تنضح بالكفر والاعتراض على شرع الله والاستخفاف بشعائره.

ولعل في هذه الأمثلة للناكصين على أعقابهم بعد أن أبصروا الطريق، عبرة لمن يعتبر، حتى لا نكون ممن قال الله فيهم: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧). وممن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥).



مات وهو يعوي كالكلاب!!![1]

اسمه أبو الفيض بن المبارك الناكوريّ، وُلد سنة ٩٥٤هـ وقرأ العلم على والده، وأخذ بعض الفنون العربية عن الشيخ حسين المروزي، ثم أقبل على قرض الشعر إقبالا كليًا، وخاض كثيرًا في الحكمة العربية، له مصنفات تدل على اقتداره على العلوم الأدبية، منها (موارد الكلم) الغير منطوق في الأخلاق. وكان حريصًا على جمع الكتب النفيسة، بذل عليها أموالا طائلة وجمع ٤٣٠٠ من الكتب المصححة النفيسة، أكثرها كانت مكتوبة بأيدي مصنفيها.

ووصل خبره لسلطان الهند الأشهر «أكبر شاه بن همايون البابري» فاستقدمه وسمع قصائده، فأعجب به، وجعله من خاصته ومن أقرب رجال مشورته، ولقد قام ذلك الزنديق بإفساد عقيدة السلطان أكبر شاه حتى أخرجه من الدين بالكلية، وجعله حربًا على الإسلام وأهله.

قال عنه العلامة البدايوني في المنتخب: « كان مخترع الجد والهزل والعجب والكبر والحقد، وقد جمع من خصال الكفر والنفاق والخبث والرياء والرعونة، ما لم يكن لأ؛ د في زمانه، وكان غاية في العناد والعداوة لأهل الإسلام، والطعن في أصول الدين والحط من الصحابة وتابعيهم والسلف والخلف من القدماء والمتأخرين من الأحياء والأموات، حتى كان يفوق اليهود والنصارى والهندوس والمجوس ألف مرة في هذا الباب فضلًا عن الروافض[2] ».

لما رأى هذا الضال الزنديق إنكار المسلمين عليه ومبالغتهم في الحط عليه والتحذير منه أعلن عن عزمه تأليف تفسير للقرآن الكريم لتطهير عِرضه مِن قَدْح الناس، ولكن من كفره ونفاقه وزندقته كان يعمل التفسير وهو في حالة السكر والجنابة،

---

(١) عوَى الكلبُ: لوى أنفه ثم صاح صياحًا ممدودًا ليس بنُباح.

(٢) الروافض: الشيعة.

وكان يلقيها على الأرض وتطأ الكلاب أوراقها، وظل على زندقته وضلالته، وكل يوم يقنع السلطان السفيه ببدعة جديدة وضلالة أشد من سابقتها حتى حانت نهايته التي كانت مليئة بالعبر والعظات وآية من آيات الرحمن في خلقه.

أصيب ذلك الزنديق الضال الذي أَضَلَّ خلقًا كثيرًا، وكاد أن يهدم الإسلام بالهند، أصيب بمرض نادر وغريب حار الأطباء فيه، حيث تورم وجهه للغاية، وفي نفس الوقت نحل جسده حتى صار مثل العصا البالية، وبعد فترة من المعاناة الشديدة مع المرض الغريب، اسود وجهه حتى صار مثل الزنوج، وكان من قبل شديد البياض بهي الطلعة، وبعد فترة أخذ يعوِي كالكلاب، حتى أن السلطان أكبر شاه لما عاده في بيته عوى عليه كالكلب، وصار الناس يتحاشون الدخول عليه، حتى أولاده وأهل بيته جعلوه في بيت منعزل خوفًا من العدوى، وظل الزنديق يعوي ليل نهار حتى مات وهو يعوي كالكلاب [1].

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين الحسيني (٥/ ٤٧٢).

شاعر مسلم يرد على شاعر ملحد

كتب الشاعر النصراني الملحد إيليا أبو ماضي قصيدته المشهورة (الطلاسم) التي تتنافى مع ديننا الإسلامي وفي نظرته لمسألة الخلق والألوهية والموت والحياة بعد الموت وما إلى ذلك.

وإنه من الصعب جدًا على النفس البشرية الجدال في البديهيات لكن هذا الشاعر جادَلَ فيها بشكل غريب، لكن الجميل هو تلك القصيدة الرائعة التي رد بها الشاعر المسلم فتحي محمد سليم على تلك الطلاسم، وذلك في قصيدته (إنني أدري في نقض لست أدري). ونذكر هنا بعض أبيات لهذا الملحد المرتاب، ونذكر بعض ردود المسلم عليها، قال الملحد:

جئتُ، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيتُ
ولقد أبصرتُ قــدّامي طريقا فمشيتُ
وسأبقى ماشيًا إن شئتُ هـذا أم أبَيْتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصَـرْتُ طريقي؟
لستُ أدري!
أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجــــودْ
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسِيرٌ في قيــــودْ
هل أنا قائدٌ نَفْسِي في حياتي أم مَقُـودْ
أتمنّى أنّني أدْرِي ولكن ...
لسْتُ أدرِي!
وطريقِي، ما طريقِي؟ أطويلٌ أم قصـيرْ؟
هلْ أنا أصــعدُ أم أهبـــطُ فيه وأغُـورْ؟
أأنا السّائرُ في الدّربِ أم الدّربُ يسِـيرْ؟
أم كِلاّنا واقفٌ والدّهرُ يجرِي؟
لستُ أدرِي!

أتُراني قبلما أصبحتُ إنسانًا سويًّا
أتُراني كنت محوًا أم تُراني كنتُ شيًّا
ألهذا اللّغو حَلٌ أم سيبقى أبديّا
لست أدري... ولماذا لست أدري؟
لستُ أدري!
قد سألتُ البحرَ يومًا هل أنا يا بحرُ مِنْكَا؟
هل صحيحٌ ما رواهُ بعضهم عنِّي وعَنْكَا؟
أم تَرى ما زعموا زورًا وبهتانًا وإفكَا؟
ضحِكَتْ أمواجُه مني وقالتْ:
لستُ أدري!
أيّها البحر، أتدري كم مضت ألف عليْكَا
وهل الشّاطىء يدري أنّه جاثٍ لديْكَا
وهل الأنهارُ تدرِي أنّها منــكَ إليْكَا
ما الذّي الأمواجُ قالتُ حين ثارتُ؟
لستُ أدرِي!
أنت يا بحر أسيرٌ آه ما أعظم أَسْرَكْ
أنت مثلي أيّها الجبارُ لا تملك أمرَكْ
أشبهتْ حالُك حالي وحكى عُذرِيَ عُذْرَكْ
فمتى أنجُو منَ الأسْرِ وتنجُو؟
لستُ أدرِي!
إنّني، يا بحرُ، بحرٌ شاطئاهُ شاطئاكَا
الغدُ المجهولُ والأمسُ اللّذانِ اكْتَنَفَاكَا
وكِلَانا قطرةٌ، يا بحرُ، في هذا وذاكَ
لا تسَلْنِي ما غدٌ، ما أمسُ؟ إني ...
لستُ أدرِي!

ولقد قلتُ لنفسِي، وأنا بين المقابر
هل رأيتُ الأمنَ والرّاحةَ إلاّ في الحفائِرْ؟
فأشارَتْ: فإذا للدّود عَيْثٌ في المحاجر[١]
ثم قالت: أيّها السّائل إني ...
لستُ أدري!
أوراءَ القبرِ بعد الموتِ بعثٌ ونشورْ
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ ودثورْ [٢]
أكلام النّاس صدقٌ أم كلام الناس زُورْ
أصحيح أنّ بعضَ الناسِ يدرِي؟
لسْتُ أدرِي!

رد الشاعر المسلم فتحي سليم على هذه الطلاسم:

إنني أدرِي وأدرِي بيقـــــينْ
أنني سُوِّيـــــتُ من ماءٍ وطينْ
مُضغـــــةٌ مِن نُطفةٍ، ماءٌ مهينْ
خُلِّقَتْ في الرَّحْمِ في كِـنٍّ مَكينْ
نبّأ الحــــــــقِّ وقرآنٌ مُبينْ
عن رسولٍ صـادقِ الوعدِ أمينْ
إنّهُ تنزيـــــــــلُ ربِّ العالمينْ
حِكمةٌ بالغةٌ، لوْ كنتَ تدري؟
لستَ تدرِي

---

(١) عاثَ: أفسد. مَحْجِر العَيْن: ما أحاط بها.
(٢) الدُّثُورِ، جمع دثر وهو المال الكثير.

تَسأَلُ البحرَ وترجُـــــو أنْ يُجيبْ
وتُناجيهِ مُناجـــــــــاةَ الحبيبْ
أبعيــــــــدٌ مَنْ تُناجِي أمْ قَريبْ؟
إنَّها آهاتُ شَكَّـــــــــاكٍ مُريبْ
جَثَتِ الشُطْئـــانُ والمَوْجُ صَخِيبْ
ظُلمةُ الأعماقِ في صَمْـتٍ رَهيبْ
عالمٌ يَزْخَــــــرُ بالعيشِ العَجيبْ
أنتَ لا تَدري؟ فكيفَ البحرُ يدري؟
سوف تدرِي
تُكْثِرُ التَّسْآلَ هلْ تَبغي جَـــوابا؟
أمْ بحقٍّ أنتَ ترتادُ الصـــــوابا؟
أمْ هو التشكيكُ أسلوبًا مُعَـــابا؟
يُقْـــلِقُ المَرْءَ فيزدادُ اضطــــرابَا
إن في الزهـــرِ رحِـــيقًا مُستطابَا
فاسأَلِ النحلَ لِمَنْ تَجني الرُّضابَا (١)
إن في الكونِ لذي اللبِّ كِتـــابَا
آيةً بَيِّنَةً مِنْ سِفْـــــرِ عُمْـــرِي (٢)
أفتَـــــــدْرِي؟
وسؤالٌ دُونَـــــــــهُ أَلْفُ سؤالْ
وافتراضـــــــــاتُ حِوارٍ وجِدالْ
صُغْتَها مِنْ بينِ طَيَّـــــاتِ المُحالْ

---

(١) الرُضَاب: رغوة العسل، قِطَع السُّكَّر. وفتات المسك.

(٢) سِفر: كتاب.

إنَّه الإنكـــــارُ والداءُ العُضالْ
مِنْ نُفـــوسٍ مُفْعَماتٍ بالضَّلالْ
مُسْبَقًا هَيَّأْتَهُ مِنْ حيـــثُ تدري
(لستُ أدرِي) ســـوف تَدرِي
لا دَرَيْت
أعْمِلِ العقــلَ وفَكِّرْ في الوجودْ
تَجِدِ الكـــــونَ تَناهَى بِحُدودْ
أرضُنا دَوْرَتُها ضِمْـــــنَ قُيودْ
أنتَ والناسُ على هذا شُهـــودْ
وفَناءٌ وبَقاءٌ وخُلــــــــودْ
عَبَثًا أمْ صُدفــــةٌ، أمْ جُحودْ؟
أمْ قوانينُ، ومَنْ قَنَّنَــــــها؟
أإلى الله أم الكـــــونِ تُعودْ؟
أنا أدرِي
في رحابِ الأرضِ لا فوقَ الغمامْ
أَفَتـــــدري أَنْ ستمشي للأمامْ
لِمَ لا تُبصرُ ليـــــلًا في الظلامْ؟
لِمَ لا تمشي مَقُــــــودًا بِزِمامْ
تُهْتَ ما بين مُبـــــاحٍ وحَرامْ
مثلما عن بيضِـــــهِ تاهَ النعامْ
ثَمَّ: إبصــــارٌ، فَمَشْيٌ بِنِظامْ
أعْتِســــافٌ تَمَّ هذا أمْ بِقَدْرِ؟
لستَ تدرِي
لو تأمَّلْتَ نسيــــجَ العنكبوتْ
بنظـــــامٍ يَبْتَني أَوْهَى البيوتْ

أين هذا من شُمــوخِ المَلَكُوتْ؟
لو تَعَقَّلْتَ لآثَـــرْتَ السكوتْ
سوف تدري وتــرى يومَ تموتْ
ثَمَّ هَوْلًا لا تُدانيــــه النُّعوتْ
أتظنَّنَ بأنْ ســـــوف تَفُوتْ
من شُواظٍ يُنْضِجُ الجلدَ ويَفْرِي؟ (١)
سوف تَدْرِي
إنّه الكــــــونُ فسيحٌ وجميلْ
نظراتٌ في شروقٍ وأصيــــــلْ
وورودٌ وشــــــرابٌ سَلْسَبيلْ
وجبالٌ شامخــــاتٌ وسهولْ
ومياهٌ جاريـــــاتٌ وحُقولْ
رحلةُ العُمْرِ تَنَاهَتْ بالرحيـــلْ
لو وضعْنا نمـــلةً في إسْتِ فِيلْ
أنتَ تجـــــري، وَهْيَ تجرِي
أفَتَــدْرِي؟
إنَّني أدرِي وأدرِي كيــفَ أدرِي
إنّني أملِكُ من شأني وأَمْـــري
إنّني أفهــــمُ ما في الكونِ يَجْري
في حدودٍ ضمنَ تفكيري وقَدْري
وسُلوكي باختيـــاري لا بِقَسْرِ (٢)

---

(١) فرَى الشَّيءَ: شقَّه وقطَعه، فتّته، قطّعه قطعًا صغيرة.

(٢) قَسْرِ: إكراه. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ
=

غايتي إرضـــاءُ مَنْ قَدْ شَدَّ أَسْرِي
شرعُ رّبي فيه إصِـــلاحِي وخَيْرِي
سوف تـــدرِي
إنَّ في العقـــربِ والأفعى سُمومَا
إنَّ في النحـــلةِ ما يَشفي السقيمَا
إنَّ في الناس كريـــمًا وحليمَا
إنَّ فيهـــم خاسئًا وغْدًا لئيمَا
إنَّ في الجنّـــة خيرًا ونعيمَا
إنَّ في النـــار عذابًا وَسَمومَا
جُمِّعَت أضـــدادُها جمعًا حكيمًا
فاتركِ العـــلم لـمَنْ يدرِي ويدرِي
سوف تـــدرِي
يسألُ السائلُ عن أمرٍ عُضـــالْ
ويناجي نفســـه قبلَ السؤالْ
(لستُ أدري) ضاعَفَتْ منك الخَبالْ
أورَدَتْ أمثالَـــكُم وِرْدَ الضلالْ
أنتَ لا تثبتُ في ساحِ القتـــالْ
وجبـــانٌ ليس يَقْوَى في النِّزالْ
هاربٌ مختبـــئٌ في (لستُ أدري)
سوف تـــدرِي

رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٧- ٢٩).

الحروف المقطعة [1]

عينٌ ولامٌ ثُمَّ مِيمْ، ألفٌ ونونْ، ياءٌ مشدّدةٌ وهاءْ

مِن هَا هُنا ابتدَأَ العَناءْ

مِن هَا هُنا جَرّ السماسِرةُ الرِّداءْ

وطغَى علَى النهرِ الغُثاءْ

عينٌ. وتنتفضُ العمالةُ والعِنادْ

لامٌ. ويظهرُ في ملامحِ وجْهِ عالمِنا الكَسادْ

ميمٌ. ويرفع مُلحِدٌ علَمَ الفسادْ

ألفٌ. ويَبتدئُ الحصادْ

نونٌ. وتبدأُ نكسةٌ كُبرَى ويجتاحُ الجرادْ

ياءٌ. وتغرَقُ أمَّتي في اليانصيبْ

هاءٌ. وتقطعُ هامَةَ الأملِ الحبيبْ

عينٌ ولامٌ ثُمَّ مِيمْ، ألفٌ ونونْ، ياءٌ مشدّدةٌ وهاءْ

هذِي حروفُ الوهمِ في زمنِ الضياعْ

هذِي حروفُ اليأسِ في بحرٍ يُبددُ مَوجُه حُلْمَ الشِّراعْ

هذِي حروفُ الموتِ في وجدانِ أمتنَا، وقنطرةُ الصراعْ

عينٌ ولامٌ ثُمَّ مِيمْ، ألفٌ ونونْ، ياءٌ مشدّدةٌ وهاءْ

عينٌ. عذابٌ، لامٌ. لهيبٌ واضطرابْ

---

(١) من قصيدة الحروف المقطّعة، للدكتور عبد الرحمن العشماوي.

ميمٌ. مُجَافاةُ الكتابْ
ألفٌ. أسَى، نونٌ. نقيقُ ضفادعٍ وصدَى نُعابْ[1]
ياءٌ. يَدٌ سوداءُ موحِشةُ الخضابْ
هاءٌ. هوًى يغتالُ قلبَ الحُرِّ يلتهمُ الصوابْ
عينٌ ولامٌ ثُمَّ مِيمْ، ألفٌ ونونْ، ياءٌ مشدّدةٌ وهاءْ
مِن أينَ نخرجُ أيُّها الليلُ البهيمْ
مِن أينَ نبدأُ رحلةَ الأملِ العظيمْ
مِن أينَ، وانكسرَ السؤالْ
وسمِعْتُ صوتًا مِن وراءِ الأُفْقِ مَوْفُورَ الجَلالْ
يا سائِلًا في ثغرِه اشتعلَ السُؤَالْ
هذَا الطريقُ أمامَ عينِكَ يا غريقْ
وأمامَك الرَّوْضُ المُنَدَّى والرحيقْ
وأمامَك القرآنُ زادُكَ في الطريقْ
وحديثُ خيرِ الناسِ والبيتِ العتيقْ
سَلْ أيُّها الشَّاكِي حِرَاءْ
سَلْ غارَ ثَوْرٍ حِينَما التفَتَ الزَّمَانْ إِلَى الورَاءْ
ورأَى النَّبِيَّ يقولُ للصِّدِّيقِ لَا تَحْزَنْ فرَبُّكَ فِي السَّماءْ
ورأَى أبَا جهلٍ، وفي عينَيه نبرةُ كبرياءْ
مِائَةٌ من الإبلِ العِتاقِ فأينَ عُشَّاقُ الثَّراءْ

---

(١) نعَب الغرابُ: صاح وصوَّت.

أينَ الرجَالُ الأقْوِياءْ
سَلْ يا أبا جهْلٍ سُراقَةَ عَنْ إمامِ الأنبيَاءْ
اسمَعْ صهيلَ الخيلِ في بدرٍ
وقعقعةَ السيوفِ الراشفاتِ مِن الدماءْ
لَكَأنَّنِي بالرمْلِ يَصْرُخُ فِي وُجُوهِ الأشْقِيَاءْ
شاهَتْ وجُوهُ القومِ خابَ الأدعياءْ
وكأنني بالصوتِ جَلْجَلَ في الفضاءْ
بُشراكَ خيرُ الأنبياءْ
صَهْواتُ خيْلِ المشركينَ طريقُهم نحوَ الفنَاءْ
فاصبرْ فإنَّ اللهَ يفعلُ ما يشاءْ
يا سائلًا في ثَغْرِهِ اشتَعَلَ السؤالْ
أوَمَا ترَى عيناكَ وجهَ الشمسِ، ناصيةَ الهلالْ
قافٌ وراءْ، ألِفٌ لها مَدٌّ ونونْ
هذِي الحروفُ هيَ اليقينْ
الحقُّ يعصفُ بالظنونْ
نَبْعٌ فأينَ الوارِدُونْ
نهرٌ صفَا مِن كُل ما لا يَستسِيغُ الشاربونْ
قرآنُكم يا مسلمونْ
قافٌ. قِيَمْ
راءٌ. رُقِيٌّ في سماءِ المجدِ، سَعْيٌ للقِمَمْ

أَلِفٌ. إباءٌ في زمانِ الذُلِّ، إيمانٌ بربِّ الكوْنِ، إخلاصٌ، شَمَمْ(١)

نُونٌ. نَقَاءُ الرُّوحِ مِن دَنَسِ التذَلُّلِ للصنمْ

قافٌ وراءْ، أَلِفٌ لها مَدٌّ ونُونْ

هذا هوَ الفجْرُ الذِي اكتسحَ الظّلامْ

وأضاءَ دَرْبَ السالكينَ إلى رحابِ الخيرِ في البلدِ الحرامْ

قدْ فازَ مَن سلَكَ الطريقَ إلى الأمامْ

قافٌ وراءْ، أَلِفٌ لها مَدٌّ ونونْ

سيزولُ هذَا الوهْمُ (٢) فِي ظِلِّ العقِيدةْ

ولَسَوْف يعرفُ كلُّ مغرورٍ حُدُودَهْ

ولَسَوْف تبدأُ أمَّتِي بالحقِّ رِحلَتَها السعيدةْ

~

---

(١) شمَّ الجبلُ ونحوُه: ارتفع أعلاه، جبلٌ أشمّ: شاهق.

(٢) أي العلمانية.

قَائِمَةُ المَرَاجِعِ

❋ تفسير الطبري.

❋ سِيَر أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين الذهبي.

❋ الأعلام، خير الدين الزركلي.

❋ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.

❋ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

❋ صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني.

❋ كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني.

❋ انتحار ملحد، لسليمان صالح الخراشي.

❋ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين الحسيني.

❋ مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب.

❋ الموسوعة الفقهية الكويتية.

❋ الملل والنحل، للشهرستاني.

❋ الفلسفات الكبرى، بياردو كاسيه.

❋ الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى، مقال للدكتور محمد بن سعد الشويعر، نشر بمجلة البحوث الإسلامية العدد ١٤.

❋ أيها الزنادقة مهلا عن الجبار مهلا، الشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد.

❋ إثبات وجود الخالق ودعاوى الملحدين، أ. د. عمر عبد العزيز، أستاذ وعميد كلية الطب، بجامعة الرباط الوطني – السودان.

❋ حوار مع صديقي الملحد، للدكتور مصطفى محمود.

❋ شبهات الملحدين والرد عليها، محمود الشنقيطي.

❋ الإلحاد والإنتحار ... وأبحاث علماء الغرب فى الإسلام، دراسة علمية موثقة للباحث عبدالدائم الكحيل.

* موقع الإيمان على شبكة الإنترنت، مركز بحوث جامعة الإيمان بإشراف الشيخ عبد المجيد الزنداني.

* مع الطب في القرآن الكريم، تأليف الدكتور عبد الحميد دياب الدكتور أحمد قرقوز.

خلق الإنسان بين الطب و القرآن د . محمد على البار.

* مع الطب في القرآن الكريم، للدكتور عبد الحميد دياب الدكتور أحمد قرقوز.

* أفي الله شك؟! عبد الكريم عبد المجيد الأسوانى الدرويش.

* قصيدة الحروف المقطّعة، للدكتور عبد الرحمن العشماوي.

* إنني أدري في نقض لست أدري، للشاعر فتحي محمد سليم، رد على قصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي.

الفهرس

صدر للمؤلف

الإســـــلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان

جمع وترتيب

شحاتة صقر



